مشاهد الغيب

في

ثورة الإمام الحسين (ع)

تأليف

سماحة السيد صدر الدين القبانجي دام بركاته

إعداد وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

رقم الإصدار: ٣٢

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

شارع السور _ قرب جبل
الحويش
هاتف: ٢١٨٣١٨ و٣٧٢٠١١،

مشاهد الغيب في ثورة الإمام الحسين (ع)

السيّد صدر الدين القبانچي

رقم الإصدار: ٣٢

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

النجف الأشرف

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلّف:

الحمد لله وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله.

وبعد.. فهذا الكتاب هو مجموعة محاضرات كنت قد ألقيتها على مسامع الحاضرين خلال عشرة محرَّم الحرام من عام (١٤٣١هـ) وعام (١٤٣٢هـ)، وحيث كانت بحوثها مترابطة فقد تمَّ جمع بعضها إلى بعض وإخراجها للقارئ الكريم بشكل التي هي عليه في هذا الكتاب.

لقد جاء اختيار اسم هذا الكتاب (مشاهد الغيب) من أحد تلك المحاضرات، ولم يكن هذا العنوان هو وحده الذي تدار عليه بحوث هذا الكتاب، فقد تناولنا فيه: (مراتب أهل البيت (ع))، و(الأصابع الوهّابية في تحريف الثورة الحسينية)، و(شبهات

حول القضيّة الحسينية)، و(قراءات في تفسير الثورة الحسينية)، وأنت تجد هذه الموضوعات متناولة في مجمل المحاضرات.

* * *

وبودّي أن أُشير في هذا التقديم إلى عدَّة قضايا:

لقد عمدت أن أسرد في طيّ الموضوعات العلمية المبحوثة بعض القصص التربوية بهدف شدّ المستمع لموضوع البحث وتحريك مشاعره النفسية تجاه الموضوع وبقطع النظر عمَّا تمثّله تلك القصَّة من قيمة علمية.

* * *

ومن ناحية ثانية فقد يأخذ أسلوب العرض لبحوث هذا الكتاب شكل المحاضرة المسموعة أكثر ممَّا هو شكل البحث المكتوب، لأنَّ هذه البحوث هي بالأصل محاضرات خاطبنا فيها المستمعين بما تقتضيه طبيعة المخاطبة.

* * *

لقد عمدنا أن نختم هذه المحاضرات بحديث عن أحد شخصيات كربلاء وأبطال الملحمة الحسينية، وذلك وفاءاً لتلك الشخصيات، وسيراً مع ما هو المألوف في توزيع ليالي عشرة محرَّم الحرام على أحداثها وشخصياتها.

* * *

ومن الحقّ أن أُشير في الختام إلى الجهد الكبير الذي بذلته مؤسسة إحياء التراث الشيعي في تحقيق هذه البحوث، وإخراج مصادرها، وضبط النصوص فيها، فيما عدا طباعتها وإخراجها الفني بالشكل اللائق، فإنّي أتقدَّم لهم بوافر الشكر والامتنان وأخصّ بالذكر أخي العزيز سماحة السيّد محمّد القبانچي، وولدنا العزيز الفاضل الشيخ ياسر الصالحي، وأرجو الله تعالى لي ولهما أن يدَّخر هذا العمل في الباقيات الصالحات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم.

صدر الدين
القبانچي
١٥/ رجب/ ١٤٣٢هـ
يوم وفاة بطلة
كربلاء
السيّدة زينب
الكبرى (ع)

المحاضرة الأولى:

التغيير الاصلاحي

هدف الثورة الحسينية

- ما هي أهداف الثورة الحسينية؟
- خمسة تفاسير للثورة الحسينية.
- مراتب أهل البيت (ع): المودَّة.
- التشكيك في دلالة آية المودَّة.
- المودَّة شكل ومضمون.
- شبهة ضدّ الشعائر الحسينية.
- الروايات في بكاء النبيّ (ص) على الحسين (ع).
- الحسين (ع) يعطف على زائريه.
- العشق النبوي للحسين (ع).
- ماذا فعل يزيد برأس الحسين (ع)؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هي أهداف الثورة الحسينية؟

يقول الإمام الحسين (ع): «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (ص)»[1]، ممَّا يعني أنَّ التغيير الإصلاحي هو هدف الثورة الحسينية. ولكنّا نحاول هنا أن نقف عند تفاسير أخرى للثورة الحسينية.

شيعة أهل البيت (ع) يؤمنون بالتفسير الديني للحركة الحسينية بمعنى أنَّها لم تنطلق من منطلقات قبلية أو ثارات أو ما شاكل ذلك، وإنَّما من منطلق الإصلاح الديني.

ولقد استعرض الدكتور هادي التميمي في كتابه (ثورة الإمام

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

الحسين (ع) في المصنّفات المصرية)[١] عدَّة تفاسير لثورة الإمام الحسين (ع).

خمسة تفاسير للثورة الحسينية:

التفسير الأوّل: التفسير القَبَلي:

بمعنى أنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) هي امتداد للمعركة بين هاشم وأميّة، هذه المعركة كانت موجودة قبل الإسلام واستمرَّت في صدر الإسلام وامتدَّت بعد صدر الإسلام إلى ثورة الحسين (ع) التي هي ثورة بني هاشم على بني أميّة، فالحسينيون والحسنيون دائماً كانوا يقودون ثورات ضدّ الحكم الأموي انطلاقاً من رؤية قَبَلية.

هذا التفسير غير صحيح، فالثورات استمرَّت حتَّى بعد حكم بني أميّة، فالإمام موسى بن جعفر (ع) كان مسجوناً أبان الحكم العبّاسي، والحكم العبّاسي ليس حكماً أمويّاً، بل هو من الناحية العشائرية ينتمي إلى بني هاشم.

---

(١) راجع: ثورة الإمام الحسين (ع) في المصنّفات المصرية لهادي التميمي: ٢٤٥ - ٢٥٣.

إذن القضيّة ليست قبلية كما يفكّر بعض الباحثين المصريين، وكما جاء في كلمات العقّاد في كتابه (أبو الشهداء)، وفي كلام لطفي في كتابه (الشهيد الخالد)، وفي كتابات أخرى للمصريين[١].

التفسير الثاني: التفسير المزاجي:

بمعنى أنَّ مزاج الإمام الحسين (ع) كان مزاجاً ثورياً حادّاً، فهو يطالب بالثورة بقطع النظر عن المبرّرات إن كانت حقيقية أو غير حقيقية، وإنَّه كان صارماً مع نفسه ومجتمعه وشيعته، فلمّا مات معاوية وجد الفرصة سانحة وقد أصبح سيّداً لبني هاشم فاستغلَّ هذه الفرصة للتعبير عن مزاجه، فليست القضيّة دينية ولا إسلاميّة ولا

(١) راجع: أبو الشهداء لعبّاس محمود العقّاد: ٩١ - ٩٨؛ الشهيد الخالد لحسن أحمد لطفي: ٨ - ١١؛ شهيد كربلاء لعويس فهمي: ٧ - ٩؛ وغيرها من المصادر.

مبدئية[١]!

هذا التفسير خاطئ أيضاً فأئمّة أهل البيت (ع) هم أعلى من أن يقوموا بأعمال مزاجية وخاصّة في ظروف مثل ظروف الحسين (ع) وهو يعلم أنَّها ثورة سوف لن تكلّل بالنجاح المادّي، فهو (ع) ولعشر سنوات بعد شهادة الإمام الحسن (ع) كان سيّداً لبني هاشم لكنَّه لم يقم بالثورة.

إذن القضيّة ليست مزاجية وإنَّما تبدّل الموقف حين جاء يزيد بن معاوية، والإمام (ع) يقول: «مثلي لا يبايع مثله»[٢].

التفسير الثالث: التفسير المصلحي:

بمعنى أنَّ الإمام الحسين (ع) طلب الحكم والرئاسة والزعامة! وقد أغرته كتب أهل الكوفة، وحسب أنَّه سينتصر[٣].

---

(١) راجع: الفتنة الكبرى لطه حسين ٢: ١٩٥.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٧.
(٣) راجع: التاريخ السياسي لعبد المنعم ماجد ٢: ٦٨.

و هذا التفسير غير صحيح أيضاً، لأنَّ الإمام الحسين (ع) كان يقرأ الواقع بشكل جيّد، وأبسط الناس يومئذٍ كان يرى أنَّ القبضة الأمويّة لا تنتهي بالثورة الحسينية وإنَّما تحتاج إلى زمن، وهو (ع) كان يقول لأخيه محمّد بن الحنفية: «أتاني رسول الله (ص) بعد أن فارقتك فقال: يا حسين اُخرج فإنَّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له الحسين (ع): «قد قال لي (ص): إنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا»[1].

إذن لم يكن الحسين (ع) طالباً للحكم ولا كان يفكّر بمصلحته الشخصية وهو يعرف بأنَّ المعركة خاسرة من الناحية المادّية.

ولقد كان من أصحاب هذا التفسير بالخصوص الدكتور حمدي شاهين الذي

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٤٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

ألّف كتاباً عجيباً هو (الدولة الأمويّة المفترى عليها) في الدفاع عن الدولة الأمويّة، فلم تكن لدى الأمويّين خطيئة إلاّ برّرها وحوّلها إلى حسنة، وكأنّ كتب التاريخ التي كتبت عن الدولة الأمويّة وأبي سفيان وهند آكلة الأكباد ومعاوية حينما قال: «ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وقد أعرف أنّكم تفعلون ذلك، ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم»[1]، وعن يزيد حينما قال ورأس الحسين(ع) أمامه:

لعبت هاشم بالملك خبر جاء ولا وحي

كأنّ هذه الكتابات كلّها كتابات شيعية مفتعلة ضدّ بني أميّة، والحال أنّها كتابات المؤرّخين من السُنّة ومن الشيعة، وهذا هو واقع الدولة الأمويّة واتّجاهات حكّامها.

---

(١) المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٥١؛ مقاتل الطالبيين: ٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٨.

التفسير الرابع: التفسير الطبقي:

لقد كنّا نقرأ كتاباً قبل أربعين عاماً أيّام المدّ الشيوعي واليساري في الدول العربية والإسلاميّة اسمه (اليمين واليسار في الإسلام) حيث يرى أنَّ المعركة في التاريخ الإسلامي هي معركة يمين ويسار، واليسار يمثّله الثوّار وهم طبقة الفقراء والضعفاء، وأنَّ الإمام الحسين (ع) يمثّل الطبقة الفقيرة وبنو أميّة يمثّلون الطبقة الغنيّة!

هذا الكلام غير صحيح أيضاً، فلم تكن الثورة النبويّة قائمة على أساس أنَّها ثورة ضعفاء مقابل الأغنياء، وداود وسليمان لم يكونا فقراء، والحسن والحسين H لم يكونا فقراء أيضاً، بل كان لديهما أملاك ومزارع، ولهذا في يوم عاشوراء حدثت مفاوضات بين الحسين (ع) وابن سعد، حيث قال

الحسين (ع) لابن سعد: «ويحك يا بن سعد! أمَا تتَّقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني وأنا ابن من علمت؟ فاترك هؤلاء وكن معي فإنّي أقرّبك إلى الله ﷻ».

فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله! أخاف أن تُهدم داري.

فقال له الحسين (ع): أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين: «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز...»[١].

فالإمام الحسين (ع) لم يكن فقيراً، ومثل ذلك موسى (ع) فإنَّه لم يكن فقيراً أيضاً، فقد تربّى في القصر الفرعوني، هذه الثورات هي ثورات مبدئية عظيمة وليست ثورات طبقية كما يقول أصحاب هذا التفسير.

التفسير الخامس: التفسير الغيبي:

---

(١) أنظر: الفتوح لابن أعثم ٥: ٩٢ و٩٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٨.

يرى هذا التفسير أنَّ الحسين (ع) انطلق من منطلقات غيبية، وأنَّ ذلك كان من أمر الله تعالى ولا شأن له بالتحليل السياسي، مثلاً الإمام الحسين (ع) قبل خروجه من المدينة لمّا ذهب لتوديع النبيّ (ص) رأى رسول الله (ص) في المنام وقال له: «إنَّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلاَّ بالشهادة»[١]، أي إنَّك مكلَّف أن تذهب وتنال الشهادة.

والإمام (ع) عندما كان يُسئل عن سبب حركته رغم أنَّه يقرأ الواقع ويعرف أنَّه سيقتل يقول: «قال لي رسول الله (ص): إنَّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»[٢]، فهو قرار إلهي، أي ليس الأمر بيدي.

لقد تحاور محمّد بن الحنفية مع الحسين (ع) وقال له: يا أخي إنَّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك

(١) أمالي الصدوق: ٢١٧/ ح (١/٢٣٩)؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٩.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٤٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنَّك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال: «يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت».

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنَّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال: «أنظر فيما قلت»، فلمَّا كان السحر ارتحل الحسين (ع) فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال: «بلى».

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال: «أتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإنَّ الله

قد شاء أن يراك قتيلاً...»[١].

فلم يعطه الحسين (ع) جواباً آخر، بل أحال الموضوع إلى القرار الغيبي، لأجل ذلك فإنَّ بعض المؤرّخين يميلون إلى التفسير الغيبي لحركة الإمام الحسين (ع).

وهذا الأمر صحيح ولكنَّه ليس بعيداً عن التحليل للواقع والاستحقاقات السياسية والدينية كما كان يراها الحسين (ع)، فإنَّ يد الغيب موجودة مع الأنبياء أيضاً، ولكن حركتهم لم تكن اتّكالاً على الغيب فقط وبعيداً عن دراسة الموقف، وبنفس الوقت فإنَّ يد الغيب تأتي مع تلك الحركة.

إبراهيم (ع) لمَّا رُمي في النار بالمنجنيق جاءت يد الغيب لنصرته، ﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، هذا عامل غيبي، ولكن حركة إبراهيم

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٣٩ و٤٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

ضدّ نمرود وتكسيره للأصنام لم تكن حركة بعيدة عن دراسته للواقع واستحقاقاته، نعم قد تكون تسليماً مطلقاً للغيب أحياناً، مثلاً: ﴿يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافّات: ١٠٢)، لقد استسلم إبراهيم وإسماعيل للقدر الإلهي دون مناقشة، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ (الصافّات: ١٠٣ ـ ١٠٥)، ثمّ قال: ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافّات: ١٠٧)، وهو كبش كبير لا يُعرف من أين أتى! وهذه هي يد الغيب إلاّ أنَّ هذه الحالة لا يمكن تعميمها لجميع مواقف الأنبياء وحركتهم، بل علينا أن نكتشف الأهداف المنظورة القريبة والبعيدة لحركتهم.

التفسير الديني:

لهذا نحن نعتقد أنَّ التفسير الديني لثورة الحسينية هو الصحيح،

وعلينا مراجعة خطابات هذه الثورة لكي نعرف أهدافها.

فمرَّةً يقول الإمام الحسين (ع): «إنَّ السُنّة قد أُميتت، وإنَّ البدعة قد أُحييت»[١]، ومرَّة أخرى يقول: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (ص)»[٢]، ومرَّة ثالثة يقول: «اللّهمّ إنَّك تعلم أنَّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك»[٣]، وهذه الخطابات جميعها تؤكّد وتؤيّد التفسير الديني للثورة الحسينية.

مراتب أهل البيت (ع) والانحراف عنها:

لقد قرأنا في زيارة عاشوراء:

---

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٢٥ و٢٦.
(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.
(٣) تحف العقول: ٢٣٩؛ بحار الأنوار ٩٧: ٨٠ و٨١/ ح ٣٧.

«ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا»[1]، أي إنَّ هناك مراتب لأهل البيت (ع) كما أنَّ هناك مجموعة من الناس في التأريخ سلبوا هذه المراتب من أهل البيت (ع)، ودفعوهم عن مقامهم الشرعي، فما هي مراتب أهل البيت (ع) ومنزلتهم؟ وكيف دفع الناس أهل البيت (ع) عن هذه المراتب؟

لقد كانت حركة الإمام الحسين (ع) تهدف في جملة ما تهدف إليه إعادة الأمّة إلى تلك المراتب لأهل البيت (ع).

إنَّنا سوف نتناول في هذه المحاضرات وفي كلّ ليلة مرتبة من تلك المراتب ونبحث عن دليلها الشرعي ومعناها وموقف الأمّة تجاهها. كما نحاول في كلّ ليلة من الليالي تناول إحدى الشبهات ضدّ مذهب أهل البيت (ع)

---

(١) كامل الزيارات: ٣٢٨ و٣٢٩/ باب ٧١/ ح (٩/٥٥٦).

ونجيب عليها.

المودَّة الواجبة:

وهي أوّل مرتبة امتاز بها أهل البيت (ع)، ذلك قوله تعالى في سورة الشورى الآية (٢٣): ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾، وهو خطاب من الله تبارك وتعالى للنبيّ (ص) أن قل للناس من المهاجرين والأنصار الذين كانوا قد جمعوا أموالاً للرسول (ص) جزاءً على أتعابه معهم: إنّي لا أريد منكم أجراً إلاّ المحبّة في القربى[١].

والمفسّرون الكبار من علماء السُنّة مثل الإمام الرازي في التفسير الكبير، والزمخشري في تفسير الكشّاف يذكرون أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك، هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما»[٢]، فيما يذكر أحد

(١) أنظر: الكافي ١: ٢٩٥/ باب الإشارة والنصّ على أمير المؤمنين (ع)/ ح ٣.
(٢) راجع: تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦؛ تفسير

علماء الشيعة وهو العلاَّمة الفيروزآبادي في كتابه (فضائل الخمسة) أنَّ نزول هذه الآية في أهل البيت (ع) جاءت الإشارة إليه في خمسين مصدراً من مصادر أهل السُنّة، ولذا كان الولاء لأهل البيت (ع) ضرورة من ضرورات الدين، ولا يستطيع أحد من المسلمين أن يقول: إنّي لا أحبّ أهل البيت، والحقيقة أنَّ هذا شرف عظيم لأهل البيت (ع).

وهنا يأتي ابن تيمية[1] أحد كبار علماء المذهب السلفي والذي أصبح منشئاً وأساساً للمذهب الوهّابي فيقول في نزول هذه الآية في فاطمة وعلي

الكشّاف ٣: ٤٦٧؛ تفسير الثعلبي ٨ : ٣٧؛ تفسير البيضاوي ٥: ١٢٨.

(١) ابن تيمية معاصر للعلاَّمة الحلّي أحد كبار علماء الشيعة في القرن الثامن الهجري وله كتاب اسمه (منهاج الكرامة) وهو كتاب مهمّ في عقيدة مذهب أهل البيت (ع)، وردَّ عليه ابن تيمية بكتاب أسماه (منهاج السُنّة النبوية) وردَّ علماء الشيعة على كتابه أيضاً. (المؤلّف).

والحسن والحسين: (هذا كذب ظاهر)[١]، غير أنَّنا ننقل عن كبار علماء الحديث عند السُنّة _ وليس الشيعة فقط _ من يقول بنزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، نصّاً صريحاً عن رسول الله (ص) في ذلك، فهل يعقل أنَّ أكثر من خمسين مصدراً من أُمّهات المصادر كلّهم يكذبون!؟

جاء أعرابي إلى رسول الله (ص) وقال: يا محمّد! فقال له النبيّ (ص): «ما تشاء؟»، فقال: المرء يحبّ القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبيّ (ص): «المرء مع من أحبّ»، فقال: يا محمّد، أعرض عليَّ الإسلام، فقال: «اشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنّي رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحجّ البيت»، فقال: يا محمّد تأخذ على هذا أجراً؟ فقال: «لا، إلاَّ المودَّة في القربى»، قال: قرباي أو قرباك؟ قال: «بل قرباي»، قال: هلمَّ يدك حتَّى أبايعك، لا خير فيمن لا يودّك

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٤٠.

ولا يودّ قرباك[١].

والفخر الرازي في سورة الشورى يتحدَّث بشكل مفصَّل، يقول: إنَّ هذه الآية إمَّا أن تكون نازلة فيهم، وإمَّا أن يكون المصداق الأظهر لها هم أهل البيت (ع)[٢]، ومع ذلك يأتي ابن تيمية ويشكّك بنزول هذه الآية فيهم، بل يعتبر ذلك كذباً! إلاَّ أنَّ علماء التفسير لا يوجد بينهم من يستطيع أن يشكّك بأنَّ هذه الآية كان يراد بها غير أهل البيت (ع) حتَّى مثل الفخر الرازي والزمخشري وغيرهم.

التشكيك في دلالة آية المودَّة:

أمَّا ابن تيمية يقول: هذا كذب، ودليله على ذلك أنَّ سورة الشورى نازلة في مكّة المكرَّمة بينما علي تزوَّج بفاطمة في المدينة المنوَّرة وفي السنة الثالثة، وفي السنة الخامسة وبعدها صار لديه الحسن والحسين،

---

(١) أمالي المفيد: ١٥٢/ ح ٢؛ بحار الأنوار ٢٧: ١٠٢ و١٠٣/ ح ٦٧.

(٢) راجع: تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦.

فكيف يمكن نزول الآية فيهم[١]؟

هنا جاء علماؤنا ودرسوا هذه القضيّة التفسيرية و قالوا: إنَّ القرآن الكريم فيه ترتيب نزول، وترتيب مصحف، و هذه حقيقة يعترف بها جميع المسلمين و هي أنَّ القرآن الكريم نزلت آياته بشكل، ولكن حينما جُمع ورُتّب كان على أساس آخر وليس على أساس ترتيب النزول و تاريخ النزول وإنَّما على أسس أخرى، لاحظوا مثلاً عندما نفتح القرآن الكريم نجد أنَّ أوّل سورة فيه هي سورة الفاتحة والسورة الثانية هي سورة البقرة وهذا هو ترتيب المصحف، لكن هذا الترتيب ليس ترتيباً حسب تاريخ نزول السور، بل إنَّ أوّل سورة نزلت هي سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، بينا جاء ترتيب القرآن الكريم (المصحف) بشكل آخر، ثمّ نأتي إلى الآيات في كلّ سورة، فنجد _ كما يقول جميع المفسّرين _ أنَّ بعض الآيات من سورة واحدة نزلت في مكّة المكرَّمة وبعضها من نفس السورة نزلت

(١) راجع: منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٤٠.

في المدينة المنوَّرة، وأحياناً نجد عكس ذلك حيث إنَّ مطلع السورة ينزل في المدينة بينما بعض الآيات في داخلها نازلة في مكّة المكرَّمة.

عن عثمان قال: كان رسول الله – كثيراً ما ينزل عليه الآيات فيقول: «ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا»[١].

العلاَّمة الأميني; في كتابه (الغدير)[٢] يذكر سبعة عشر نموذجاً لسور مكّية لكن بعض آياتها مدنية وبعض السور مدنية لكن بعض آياتها مكّية، ويستدلُّ على ذلك بمصادر متَّفق عليها من أُمّهات كتب التفسير وعلماء وأئمّة التفسير من أهل السُنّة والجماعة وليس من الشيعة فقط مؤكّداً أنَّ هذا القرآن الكريم الآن هو كتاب صحيح وليس فيه تحريف ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لكن

(١) فتح الباري ٩: ٣٨/ باب تأليف القرآن.
(٢) أنظر: الغدير ١: ٢٥٥ - ٢٥٧.

ترتيب سوره وآياته ليس بالنسق التاريخي الذي جاءت به.

إنَّ علماء الإسلام جميعهم يقبلون هذه الحقيقة ولكن ابن تيمية يبدو وكأنَّه غافل عنها، فيقول: إنَّ سورة الشورى نزلت في مكّة ولم يكن علي قد تزوَّج بفاطمة ولا ولد له الحسن والحسين، إذن كيف يراد بقوله: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ علي وفاطمة والحسن والحسين، وهم في مكّة غير مولودين؟

والجواب على ذلك: أنَّ السورة قد نزل مطلعها في مكّة المكرَّمة، ولكنَّ عدداً من آياتها قد نزلت في المدينة المنوَّرة، ويومئذٍ كان علي قد تزوَّج بفاطمة وولد له الحسن والحسين H، ودليلنا على ذلك هو العديد من الروايات الصحيحة التي تؤكّد أنَّ هذه الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين[1].

(١) راجع: قرب الإسناد: ١٢٨ و١٢٩/ ح ٤٥٠؛ الكافي ٨

وعلى كلّ الأحوال فإنَّ أوّل مرتبة لأهل البيت (ع) هي مرتبة المودَّة بمعنى المحبّة في قلوب المؤمنين.

الزمخشري في تفسير الكشّاف ولدى الحديث عن آية المودَّة روى بهذا السياق قال: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان...»[1].

المودَّة شكل ومضمون:

الحقيقة أنَّ المودَّة هي شكل ومضمون، فالمحبّة بدون محتوى ليست ذات قيمة كبيرة، كما أنَّ سائر المعتقدات الدينية كذلك فهي عقيدة يتبعها عمل وتطبيق على الأرض.

عن أنس أنَّ رجلاً سأل النبيّ – عن

: ٩٣/ ح ٤٦؛ مجمع الزوائد ٧: ١٠٣، و٩: ١٦٨؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٧/ ح ٢٦٤١.

(١) تفسير الكشّاف: ٣: ٤٦٧.

الساعة فقال: متى الساعة؟

فقال رسول الله -: «وما ذا أعددت لها؟».

قال: لا شيء إلاَّ أنَّي أحبّ الله ورسوله.

فقال -: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبيّ -: «أنت مع من أحببت»[1].

لكن هنا لا بدَّ أن نبحث عن مضمون المحبّة لأهل البيت (ع) ومحتواها فهي ليست مجرَّد محبّة خالية من المضمون كما يقول القائل: (سيّدنا يزيد قتل سيّدنا الحسين)، فهناك أناس يدَّعون المحبّة لأهل البيت ويعلنون عن حبّهم للحسين (ع) ولكنَّهم يحبّون يزيد قاتل الحسين، وهذه ليست مودَّة حقيقية، بل هي شكل مودَّة، بينما المطلوب هو المضمون والمحتوى، كما هو في أصل الإسلام

(١) أنظر: صحيح البخاري ٤: ٢٠٠؛ صحيح مسلم ٨: ٤٢.

فإنَّ شكل الإسلام هو (أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله) لكن مضمون الإسلام هو مضمون عملي يوجّه سلوك الإنسان المسلم كما جاء في الحديث الشريف، مثلاً: «فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ»[1]، فهذا هو صورة عن مضمون الإسلام الحقيقي، هكذا المودَّة لأهل البيت (ع).

شبهة ضدّ الشعائر الحسينية:

سمعتُ شبهة من أحد العلماء السلفيين في إحدى الفضائيات وقرأتها في المصادر عن ابن تيمية وغيره، والى يوم يتناقلها الحاقدون على مذهب أهل البيت وشيعتهم.

تقول الشبهة: إنَّ قتل الحسين (ع) مصيبة ولكن قتل الإمام علي أيضاً مصيبة، وفقدان رسول الله (ص) وماته هو مصيبة أعظم، فلماذا أنتم شيعة أهل

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٠/ ح ١٦٧.

البيت لا تقيمون مراسم اللطم والعزاء لرسول الله (ص) والإمام علي (ع) مثلما تصنعون ذلك للحسين (ع)؟

جواب الشبهة:

في الجواب على هذه الشبهة نقول:

إنَّ هناك أشياء مرتبطة بالقرار الإلهي فهي ليست قراراً بشرياً وهناك أمور مرتبطة بقرارات بشرية، فإذا كانت الأمور مرتبطة لقرارات إلهية فنحن لا نستطيع الاعتراض عليها كما هو في سائر الأحكام الشرعية في الصلاة والصوم والحجّ. مثلاً لمَّا نزل الوحي على رسول الله (ص) واختاره الله تعالى نبيّاً، قال بعض الناس: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، أي لماذا نزل القرآن على هذا اليتيم ولم ينزل على شخصيات كبيرة من مكّة وطائف؟

يجيب القرآن الكريم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (الزخرف: ٣٢)، فالقرار هو

قرار إلهي لا يجوز الاعتراض عليه.

مثال آخر: كان المسلمون يصلّون فترة من الزمن باتّجاه بيت المقدس وبعدئذٍ جاء القرار الإلهي أن وجّهوا وجوهكم عند الصلاة إلى الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ (البقرة: ١٤٤)، وحينما نزلت هذه الآية كان المسلمون في المسجد المعروف اليوم بمسجد القبلتين ففيه صلّى النبيّ (ص) والمسلمون أوّلاً باتّجاه المسجد الأقصى ثمّ صلّى فيه ثانية باتّجاه الكعبة. وهنا حينما انتقل المسلمون بالاتّجاه الثاني إلى بيت الله الحرام قال القائلون كما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ... قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٢ _ ١٤٤)، لأنَّ هذا هو قرار إلهي، والقرآن الكريم يقول: أيّها الناس

أنتم أمام القرار الإلهي لا يحقّ لكم الاعتراض.

وفي ضوء هذه الفكرة نقول: عندما يسأل السائل عن السبب في إقامة الشيعة للشعائر الحسينية، ولماذا تمتّع الحسين بهذا الموقع حيث أصبح مصدر إلهام للأدباء والشعراء والقادة ولثوّار العالم والمناضلين والمؤرّخين والباحثين ولعلماء الاجتماع والتاريخ؟

الجواب على ذلك: أنَّ القضيّة حينما تكون مرتبطة بالمشيئة الإلهية إذن فهي فوق تحليلنا، ونحن نعتقد أنَّ قضيّة الحسين (ع) رغم كلّ ما يمكن أن نقدّمه من تحليل سياسي وعلمي لها ولكن القضيّة هي تعبير عن إرادة الله تبارك وتعالى، ولقد تحدَّث الأنبياء عن الإمام الحسين (ع) وتحدَّث عنه رسول الله (ص)، وتحدَّث عنه علي والحسن H قبل أن تقع فاجعة كربلاء، وبكاه الأئمّة (ع)، ممَّا يدلّل على أنَّ قضيّة الحسين

(ع) كانت قراراً إلهياً، وقد أريد لها أن تصبح قضيّة مركزية في التاريخ الإنساني والتأثير على مساراته، إنّه ليس اختيارنا أن يهبط جبرائيل على رسول الله (ص) فيخبره: «إنَّ أمّتك ستقتله»، وهناك ثلاث عشر رواية يجمعهنَّ الأستاذ العلاّمة المؤرّخ الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه (حياة الإمام الحسين (ع))[1] من مصادر أهل السُنّة وليس من مصادر الشيعة في بكاء النبيّ (ص) على الحسين، ممَّا يشير بوضوح إلى أنَّ هذه القضيّة هي قضيّة فوق التخطيط البشري.

الروايات في بكاء النبيّ (ص) على الحسين (ع):

الرواية الأولى: عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي 2 على رسول الله – وهو يوحى إليه فنزا على رسول الله – وهو مذكبّ وهو _ أي الحسين (ع) _ على ظهره، فقال جبريل لرسول الله –: أتحبّه

(١) راجع: حياة الإمام الحسين (ع) ١: ٩٧ – ١٠٥.

يا محمّد؟

قال: «يا جبريل وما لي لا أحبّ ابني؟».

قال: فإنَّ أمّتك ستقتله من بعدك، فمدَّ جبريل (ع) يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يُقتل ابنك هذا، واسمها الطفّ، فلمّا ذهب جبريل (ع) من عند رسول الله - خرج رسول الله - والتزمه في يده يبكي، فقال: «يا عائشة إنَّ جبريل أخبرني أنَّ ابني الحسين مقتول في أرض الطفّ، وإنَّ أمّتي ستفتن بعدي»، ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذرÌ وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: «أخبرني جبريل (ع) أنَّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ وجاءني بهذه التربة وأخبرني أنَّ فيها مضجعه»[1]، لاحظوا كيف أنَّ الأضواء تُسلَّط

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ و١٨٨، عن المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧/ ح ٢٨١٤.

على قضيّة الحسين (ع) منذ رسول الله (ص) وجبرائيل هو المتحدّث والمخبر بذلك في كلّ مرَّة.

الرواية الثانية: عن ابن عبّاس، قال: كان الحسين جالساً في حجر النبيّ -، فقال جبريل (ع): أتحبّه؟

فقال: «وكيف لا أحبّه وهو ثمرة فؤادي؟».

فقال: أمَا إنَّ أمّتك ستقتله، ألا أريك من موضع قبره؟ فقبض قبضة فإذا تربة حمراء[1].

الرواية الثالثة: عن أُمّ سَلَمة زوجة النبيّ -، قالت: كان رسول الله - جالساً ذات يوم في بيتي، قال: «لا يدخل عليَّ أحد»، فانتظرت فدخل الحسين 2 فسمعت نشيج رسول الله - يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ - يمسح جبينه وهو يبكي.

فقلت: والله ما علمت حين دخل.

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٩١ و١٩٢؛ البداية والنهاية ٦: ٢٥٧.

فقال: «إنَّ جبريل (ع) كان معنا في البيت، فقال: تحبّه؟ قلت: أمّا في الدنيا فنعم[١]، قال: إنَّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء»، فتناول جبريل من تربتها فأراها النبيّ -[٢].

حتَّى أنَّ ابن عبّاس لشدّة هذه التأكيدات قال: «ما كنّا نشكّ وأهل البيت متوافرون أنَّ الحسين بن علي يقتل بالطفّ»[٣].

هذه القضيّة إذن تخضع للمشيئة الإلهية وهي ليست مفصولة عن إرادة الإنسان طبعاً، فلا بدَّ أنَّ هناك استحقاقات بشرية، ولذا فإنَّ الحسين (ع) كان يتحدَّث مع الحرّ الرياحي في منطقة يقال لها (البيضة) حيث التقاه هناك، فقال: «أيّها الناس إنَّ رسول الله (ص)، قال: من رأى سلطاناً جائراً

---

(١) هكذا في المصدر.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٨ و١٠٩/ ح ٢٨١٩؛ مجمع الزوائد ٩: ١٨٨ و١٨٩ عنه.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٧٩.

مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنّة رسول الله (ص)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[1]، بما يشير إلى أنَّ الإرادة البشرية يجب أن تتفاعل مع الإرادة الإلهية، وهذا هو أوّل معطى لحركة وثورة الإمام الحسين (ع)، قضيّة التغيير والنجاة وبناء المجتمع الصالح فهذا يحتاج إلى عنصر بشري كما يحتاج إلى تدخّل إلهي، فالتغيير لا يكون إلاّ بالتفاعل ما بين إرادة البشر وبين إرادة الله تبارك وتعالى، وإذا لم تتفاعل البشرية مع إرادة الله فإنَّه سيسلّط عليهم أمثال يزيد بن معاوية لأنَّهم لم يتفاعلوا مع إرادة الله تبارك وتعالى.

ولنعد إلى أصل الموضوع فنقول: إنَّ قضيّة الحسين (ع) امتازت عن مقتل

---

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٨٥؛ تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤ عنه.

الإمام علي (ع) وعن فقد رسول الله (ص) لا على أساس أنَّ الحسين أفضل من رسول الله (ص) أو من الإمام علي (ع)، بل لقد كان فقدان رسول الله (ص) هو أعظم خسارة للبشرية وبعدها كانت شهادة الإمام علي (ع) ولهذا نقرأ في الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا»[1]، فقدان النبيّ بالنسبة لنا خسارة عظيمة، لكن قضيّة الحسين كان لها معطيات ومداليل وقدرة خاصّة على إثارة مشاعر ووجدان الأمّة ضدّ الظلم حتّى أصبحت قضيّة ملحمية وأصبحت مصدر إلهام للأدباء والشعراء والقادة والثوّار والمصلحين والمناضلين والسجناء والأسرى والمفجوعين فلا توجد قضيّة ملحمية مثل قضيّة الحسين (ع)، وربَّما لهذا السبب تمَّ اختيارها في التخطيط الإلهي كما وجدنا في تأكيدات الأنبياء والأئمّة الأطهار من أهل البيت

(١) مصباح المتهجّد: ٣٦٦/ الرقم (١٠٣/٤٩٢).

(ع) لتكون محوراً يدور حوله شيعة أهل البيت (ع).

لقد جاء عن أهل البيت (ع) في فضيلة إحياء ذكرى شهادة الحسين (ع) وزيارته، والبكاء عليه، والدعاء تحت قبَّته، والشفاء في تربته، والسلام عليه بعد شرب الماء، والجزع لمصيبته والإنفاق في سبيل عقد مجالس البكاء عليه، وإنشاد الشعر فيه بما لم يرد في أيّة مصيبة أخرى، ولذا فإنَّ تعظيم الشعائر الحسينية هو انطلاق من موقف ديني ورؤية شرعية رسمها لنا أهل البيت (ع) وليس ابتداعاً منّا، وحينما يكون الموقف هكذا فما علينا إلاَّ أن نتعبَّد به ونخضع له.

الحسين (ع) يعطف على زائريه:

هناك قصّة يرويها الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب، يقول: حدَّثني عبد الرسول خادم، عن المرحوم السيّد عبد الحسين، السادن السابق للحرم

الحسيني، وقد كان من أهل الفضل والصلاح، قال:

رأيت في إحدى الليالي، في الحرم المطهَّر، بدوياً عاري القدم، والدم ينزف منها، قد وضع رجله الدامية القذرة على الضريح المطهَّر، وهو يشكو حاله، وأمرت بإخراجه من الحرم، وأثناء خروجه قال:

يا حسين كنت أتصوَّر أنَّ هذا البيت هو بيتك، ولكنَّني الآن عرفت أنَّه ليس كذلك، بل هو بيت غيرك!

وفي تلك الليلة، يرى المرحوم في المنام الإمام (ع)، وقد ارتقى المنبر في الصحن المقدَّس، وأرواح المؤمنين في خدمته، وهو يشكو من خدّامه، فيقف السادن ويقول: يا جدّاه، وما الذي فعلناه وكان منافياً للأدب؟

فيقول (ع): «في هذه الليلة أخرجت من حريمي أعزّ ضيوفي، وأنت تزجره، وإنّي لست راضياً عنك، ولن يرضى الله عنك ما لم ترض هذا الضيف».

قال (ع): «هو الآن نائم بالقرب من المخيَّم، وسوف يأتي إلى حرمنا، وقد كان له إلينا حاجة قضيناها له، وهي شفاء ولده المشلول، وغداً يأتي إلى حرمنا، وقد يأتي مع قبيلته فكن في استقبالهم».

ولمَّا استفاق، ذهب مع عدد من الخدم، ووجد ذلك الغريب في المكان الذي أشار إليه (ع)، فأخذ يده وقبَّلها، وأتى به مكرّماً إلى بيته، واستقبله أحسن استقبال.

وفي اليوم التالي ذهب أيضاً ومعه ثلاثون من الخدم لاستقبال القبيلة وما أن ابتعد قليلاً حتَّى رأى جمعاً من الناس وقد أقبلوا، والفرحة بادية عليهم، وقد جلبوا معهم ذلك الطفل المشلول الذي تمَّ شفاؤه، وذهبوا معاً إلى الحرم المطهَّر[1].

---

(١) أنظر: القصص العرفانية لرضا محمّد حدرج: ١٩٧ و١٩٨.

هذه هي علاقة المحبّة المتبادلة بين الحسين (ع) وشيعته.

العشق النبوي للحسين (ع):

أمّا علاقة المحبّة بين الحسين (ع) ورسول الله (ص) فيكفي أن نستمع إلى رواية يرويها أحد المحدّثين الكبار من أئمّة السُنة وهو ابن ماجة في سننه، والإمام أحمد بن حنبل من أئمّة المذاهب، عن سعيد بن أبي راشد، أنَّ يعلى بن مرة _ من أصحاب النبيّ (ص) _ حدَّثهم أنَّهم خرجوا مع النبيّ (ص) إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكة، قال: فتقدَّم النبيّ (ص) أمام القوم، وبسط يديه، فجعل الغلام يفرّ هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبيّ (ص) حتَّى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه فقبَّله، وقال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[1]، لاحظوا المشهد

(١) سنن ابن ماجة ١: ٥١/ ح ١٤٤؛ مسند أحمد ٤: ١٧٢ باختلاف.

الجميل واللافت للنظر. لقد كان مألوفاً معروفاً أنَّ النبيّ (ص) له علاقة خاصّة مع الحسين وكان يقبّله في فمه ويقول: «حسين منّي وأنا من حسين».

ماذا فعل يزيد برأس الحسين (ع)؟

في مجلس يزيد بن معاوية (لعنه الله) في الشام لمّا كان رأس الحسين في طشت دعا يزيد بقضيب فجعل ينكت ثنايا الحسين فأقبل عليه أبو برزه الأسلمي _ وهو من صحابة رسول الله (ص) _ وقال: ويحك أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة أشهد لقد رأيت النبيّ (ص) يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: «أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدَّ له جهنَّم وساءت مصيراً»[1].

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(١) مثير الأحزان: ٧٩.

المحاضرة الثانية:

الإمامة الفكرية

لأهل البيت (ع)

- الإمامة الفكرية لأهل البيت (ع).
- مصادر علوم أهل البيت (ع).
- المصدر الأوّل: القرآن الكريم.
- المصدر الثاني: السُنّة النبوية.
- الارتباط بالقرآن الكريم.
- تسبيح يونس (ع).
- الحسين (ع) ينظر إلى زائريه.
- رأس الحسين (ع) يتكلَّم بالقرآن.
- المرَّات التي تكلَّم فيها الرأس.
- نطق الرأس هل هو حقيقة أم خرافة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة عن المرتبة الثانية لأهل البيت (ع)، فقد كانت المرتبة الأولى هي المودَّة الواجبة لهم على جميع المسلمين، أمَّا المرتبة الثانية فهي الإمامة الفكرية.

وبهذا الصدد لنقرأ رواية عن الإمام الحسين (ع) كما يرويها المؤرّخون: عن الحكم بن عتيبة، قال: لقى رجل الحسين بن علي بالثعلبية وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلَّم عليه، فقال له الحسين (ع): «من أيّ البلدان أنت؟»، فقال: من أهل الكوفة، قال: «يا أهل الكوفة أمَا والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، ونزوله على جدّي بالوحي، **يا أخا أهل الكوفة مستقى العلم من عندنا، أفعلموا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون**»[1].

---

(١) بصائر الدرجات: ٣١ و٣٢/ باب في أنَّ أئمّة

الإمامة الفكرية:

ولننطلق من هذه الرواية للحديث عن الإمامة الفكرية لأهل البيت (ع)، وهي استحقاق كتبه الله تعالى لأهل البيت (ع)، فبعد المرتبة الأولى وهي المودَّة كان على المسلمين الارتباط بأهل البيت (ع) فكرياً واتّباعهم عقائدياً، قال رسول الله (ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[1]، وهذا غير مرتبة الإمامة السياسية التي سنتحدَّث عنها فيما بعد، فالإمام علي وأهل البيت (ع) هم أئمّة الهدى والعلم والفكر قبل أن نصل إلى الإمامة السياسية.

يقول (ص): «إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي...» إلى أن يقول:

آل محمّد (ص) مستقى العلم عندهم/ ح ١.

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ٢: ٢١٠ و٢١١/ باب ٢٣/ ح ١؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٢٧.

«ولا تقدَّموهم فتهلكوا، ولا تخلفوا عنهم فتفرقوا، ولا تعلّموهم فإنَّهم أعلم منكم»[١]، وهذا هو معنى الإمامة

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٧٧ و١٧٨؛ وجاءت الرواية في مصادر أبناء العامّة بهذا النصّ: عن زيد بن أرقم، قال: نزل النبيّ (ص) يوم الجحفة ثمّ أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «إنّي لا أجد لنبيّ إلاّ نصف عمر الذي قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نصحت، قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً عبده ورسوله وأنَّ الجنّة حقّ والنار حقّ وأنَّ البعث بعد الموت حقّ؟»، قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره، ثمّ قال: «وأنا أشهد معكم»، ثمّ قال: «ألا تسمعون؟»، قالوا: نعم، قال: «فإنّي فرطكم على الحوض التجارة واردون عليَّ الحوض وإنَّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضّة فانظروا كيف تخلّفوني في الثقلين؟»، فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله طرف بيد الله ﷻ وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا والآخر عترتي وإنَّ اللطيف الخبير نبّأني أنَّهما لن يتفرَّقا حتّى يردا عليَّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنَّهم أعلم منكم»، ثمّ أخذ بيد علي (ع) فقال: «من كنت أولى به من نفسي فعلي وليّه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه». (أنظر: المعجم الكبير للطبراني ٥:

الفكرية لأهل البيت (ع).

مصادر علوم أهل البيت (ع):

السؤال: من أين أتت الإمامة الفكرية لأهل البيت (ع)؟ وكيف أصبحوا أعلم من سائر الناس وهم لم يدرسوا عند أحد ولم يقرؤوا كتاباً؟

هناك مصدران لعلم أهل البيت (ع):

المصدر الأوّل: القرآن الكريم:

فإنَّ عندهم علم الكتاب كلّه: «وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ»[1]، وكلّ ما نزل على نبيّنا (ص) أعطاه رسول الله (ص) لعلي (ع)[2].

---

١٦٦ و١٦٧/ ح ٤٩٧٠؛ مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ و١٦٤؛ كنز العمّال ١: ١٨٨/ ح ٩٥٧).

(١) المزار لابن المشهدي: ٥٣٢.

(٢) عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين (ع)، قال: «كنت إذا سألت رسول الله (ص) أجابني وإن فنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنّة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلاّ أقرأنيها وأملاها عليَّ وكتبتها بيدي وعلَّمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها متشابهها وخاصّها وعامّها وكيف

القرآن الكريم في قصّة سليمان يقول: ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)، أي إنَّ سليمان أراد عرش بلقيس وهو في اليمن وسليمان في فلسطين، ﴿قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ﴾ (النمل: ٣٩)، ولكن سليمان أراد الأسرع من ذلك، فـ ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، لقد كان ذلك هو أحد الجالسين وكان لديه علم إلهي بالكتاب، ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ (النمل: ٤٠)، ولقد جاء بالعرش بطرفة عين لأنَّ عنده علم من الكتاب، الإمام الصادق (ع) لمَّا قرأ قوله تعالى: ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾ فرَّج بين أصابعه ثمّ وضعها على صدره وقال: «والله عندنا علم الكتاب كلّه»[1]، إذن من لديه علم من الكتاب يكون عالماً

نزلت وأين نزلت وفين أنزلت إلى يوم القيامة دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً فما نسيت آية من كتاب الله ولا على من أنزلت إلاّ أملاه عليَّ». (بصائر الدرجات: ٢١٨/ باب ٨/ ح ٣).

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٢ و٢٣٣/ باب ١/ ح ٢.

بما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

المصدر الثاني: السُنّة النبوية:

وقد جمعها أهل البيت (ع) واحداً بعد واحد والإمام علي (ع) يقول: «إنَّ رسول الله (ص) علَّمني ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب»[١]، وهذه العلوم أعطاها للإمام الحسن (ع) ومنه للإمام الحسين (ع) ومنه للإمام زين العابدين (ع) وهكذا.

يقول عمر بن الخطّاب: (ثلاث كنَّ لعلي لو أنَّ لي واحدة منهنَّ كانت أحبّ إليَّ من حُمُر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى)[٢]، هذه ثلاث مناقب للإمام علي (ع):

الأولى: التزويج من فاطمة، فإنَّ الصحابة خطبوها من رسول الله (ص) ولكنَّه ردَّهم حتَّى يئسوا منها،

---

(١) الخصال للصدوق: ٥٧٢/ ح ١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٤٦ و٣٤٧؛ تفسير الثعلبي ٩: ٢٦٢ عن ابن عمر.

فلقي سعد بن معاذ علياً فقال: إنّي والله ما أرى رسول الله (ص) يحبسها إلاّ عليك... فانطلق علي (ع) وهو ثقيل حصر، فقال له النبيّ (ص): «كأنَّ لك حاجة يا علي»، قال: أجل جئتك خاطباً إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمّد...»[1].

وعن علي بن جعفر، قال: سمعت أبا الحسن (ع) يقول: بينا رسول الله (ص) جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله (ص): «حبيبي جبرئيل لم أرَك في مثل هذه الصورة»، قال الملك: لست بجبرئيل، يا محمّد بعثني الله ﷻ أن أزوّج النور من النور، قال: «من ممَّن؟»، قال: فاطمة من علي[2]، فاطمة التي ليس لها

(١) كشف الغمّة ١: ٣٥٩ و٣٦٠؛ المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤١٠ و٤١١.
(٢) أنظر: الكافي ١: ٤٦٠ و٤٦١/ باب مولد الزهراء فاطمة 9/ ح ٨ .

كفؤ من البشر بعد رسول الله (ص) إلاَّ علي (ع)[١].

الثانية: إعطاؤه الراية يوم خيبر، حيث قال رسول الله (ص): «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتَّى يفتح الله على يديه»، فلمَّا أصبح قال: «ادعوا لي علياً».

فقيل: يا رسول الله، هو رمد.

فقال: «ادعوه»، فلمَّا جاء تفل رسول الله (ص) في عينيه، وقال: «اللّهمّ ادفع عنه الحرّ والبرد»، ثمّ دفع الراية إليه فمضى، وما رجع إلى رسول الله (ص) إلاَّ بفتح خيبر[٢].

الثالثة: آية النجوى، وهي قوله

---

(١) عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله (ع)، قال: سمعته يقول: «لولا أنَّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين (ع) لفاطمة، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه». (الكافي ١: ٤٦١/ باب مولد الزهراء فاطمة 9/ ح ١٠).

(٢) روضة الواعظين: ١٢٧؛ الدعوات للراوندي: ٦٣ و٦٤/ ح ١٦٠ بتفاوت يسير.

تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢)، أي إذا جئتم إلى رسول الله ولديكم مسألة علمية أو فقهية أو حديث خاصّ قدّموا صدقة عند الدخول عليه وادخلوا، ﴿ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المجادلة: ١٢)، فلمّا نزلت هذه الآية بإجماع المفسّرين والمؤرّخين[١] امتنع الناس عن رسول الله (ص) ولم يتقدَّم أحد إلاّ علي (ع)، فاستقرض (ع) ديناراً _ والدينار هو عشرة دراهم _ وتصدَّق به فناجى النبيّ (ص) عشر نجوات، فكان يتعلَّم منه علوماً جمّة، ويقول (ع): «كان لي من رسول الله مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار»[٢]، وعندما أعرض المسلمون عن النبيّ (ص) ولم يعملوا بهذه الآية نُسخت آية النجوى بقوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ

(١) راجع: تفسير الطبري ٢٨: ٢٧/ ح ٢٦١٦٨؛ تفسير الثعلبي ٩: ٢٦١؛ تفسير الرازي ٢٩: ٢٧١ و٢٧٢؛ تفسير القمي ٢: ٣٥٧؛ التبيان ٩: ٥٥١.

(٢) أنظر: مناقب آل أبي طالب ٢: ٦٦؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٢٢٢/ ح ٣٧٠٨.

أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٣).

يقول الإمام علي (ع): «إنَّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية النجوى»[١]، وآية النجوى هي شاهد على أنَّ الإمام علياً (ع) كان هو الربيب والتلميذ الأوفى لرسول الله (ص) والذي احتوى علومه (ص).

الإمامة الفكرية هي التي تفرض على الإمام مواجهة الانحراف الفكري الذي تتعرَّض له الأمّة.

وإلى هذا يشير الشاعر[٢]:

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٥٧؛ تفسير الرازي ٢٩: ٢٧١.

(٢) هو الشاعر المعروف السيّد جعفر الحلّي ;، ولد يوم النصف من شعبان سنة (١٢٧٧ هـ) في قرية من قرى العذار تعرف بقرية السادة، وتوفّي فجأة في النجف الأشرف في شعبان لسبع بقين منه سنة (١٣١٥هـ) ودفن هناك. كان فاضلاً مشاركاً في العلوم الآلية والدينية، أديباً محاضراً شاعراً قويّ البديهة، حسن العشرة، رقيق القشرة، صافي السريرة، حسن

لله أيُّ دم في كربلا لم يجر في الأرض حتَّى
وأيّ خيل ضلال على حريم رسول الله
لم أدر أين رجال وكيف صار يزيد
قد أصبح الدين منه وما إلى أحد غير
فما رأى السبط إلاَّ إذا دمه في كربلا

أي إنَّ عملية التغيير هي مسؤولية الإمام كما هي مسؤولية جميع المسلمين.

الارتباط بالقرآن الكريم:

تحدَّثنا في الليلة الماضية عن أوّل مدلول لحركة الإمام الحسين(ع) وهو مسؤولية التغيير، فيما نتحدَّث هذه الليلة عن مدلول ثانٍ وهو الارتباط بالقرآن الكريم.

حينما أرسل الحسين (ع) مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة كتب إليهم كتاباً يقول فيه: «فلعمري ما الإمام إلاَّ العامل

السيرة، له ديوان شعر مطبوع اسمه (سحر بابل وسجع البلابل). (راجع: أعيان الشيعة ٤: ٩٧ - ٩٩)، والقصيدة موجودة في: (الانتصار ٨ : ٣٠٥).

بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحقّ والحابس نفسه على ذات الله»[١]، هذا يعني أنَّ شرط الإمام العلم والعمل بكتاب الله وهو القرآن الكريم، أمَّا يزيد فليس عالماً بالكتاب ولا عاملاً به.

ويقول (ع) أيضاً في رسائله التي أرسلها إلى رؤساء الأخماس من أهل البصرة[٢]، يقول لهم: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه (ص)»[٣]، هذا يدلّنا على أنَّ أحد معطيات ومدالیل حركة الإمام الحسين(ع) هو الارتباط بالقرآن الكريم.

الإمام علي (ع) في نهج البلاغة يصف المتّقين حينما قال له همّام: صف لي المتّقين، فاستجاب (ع) له بعد إلحاح، فقال: «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ

---

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٧.

(٢) أخماس البصرة خمسة: فالخمس الأوّل العالية، والخمس الثاني بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد قيس، والخمس الخامس الأزد. (الأغاني ٨ : ٣٠٢/ ط دار الكتب).

(٣) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٢٥.

رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ... أمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أنَّهَا نُصْبَ أعْيُنِهِمْ وَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أصْغَوْا إلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ»[1].

لقد كان للإمام الحسين (ع) علاقة خاصّة بالقرآن الكريم، ولقد كان أحد أصحاب الحسين (ع) رجلاً ناهز التسعين من العمر وهو بريربن خضير وكان زاهداً عابداً، وكان أقرأ أهل زمانه، وكان يقال له: سيّد القرّاء، وهو الذي حينما أشار الحسين (ع) بالقول: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦١ و١٦٢/ الخطبة ١٩٣ في وصف المتّقين.

الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»، قال له: (يا بن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضاؤنا ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة)[1]، هذا بريز من الشخصيات العجيبة حيث لم يترك صلاة الليل أربعين عاماً وكان يصلّيها بوضوء صلاة العشاء!

فالاهتمام بالقرآن الكريم هي مسؤولية الجميع قراءةً وعملاً.

تسبيح يونس(ع):

بودّي أن أدعو الشباب لحفظ تسبيح يونس وهو في بطن الحوت وهو قوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، وهو من أعظم التسبيحات التي سجَّلها القرآن الكريم وخلَّدها لهذا النبيّ. وهذا التسبيح هو الذي خلَّص يونس من بطن الحوت كما يقول القرآن الكريم:

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٤٨.

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات: ١٤٣ و١٤٤)، والإمام الحسين (ع) في دعاء عرفة يكرّر هذا الدعاء اليونسي العجيب ويضيف له:

«لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْخَائِفِينَ...»[١]، يجب أن يكون لنا بالقرآن ارتباط، وهذا الارتباط هو أحد معطيات ثورة الإمام الحسين (ع).

الحسين (ع) ينظر إلى زائريه:

قصَّة ينقلها أحد شهداء المحراب وهو الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب في كتابه (النهضة الحسينية)[٢]، يقول:

كان هناك رجل نصراني من تجّار

(١) إقبال الأعمال ٢: ٨٤.
(٢) النهضة الحسينية لعبد الحسين دستغيب: ٩١ - ٩٣.

البصرة وله ثروات طائلة، فكتب له وكيله في بغداد أن ينتقل إلى بغداد لأنَّ العمل التجاري فيها أوسع والبصرة تضيق عليه.

باع النصراني ما لديه وحوَّل بضاعته إلى نقود، واستأجر عدَّة مراكب لنقل أمواله واتَّجه إلى بغداد.

وفي الطريق حمل على مركبه عدَّة سُرّاق محترفين ونهبوا جميع أمواله.

ظلَّ ماشياً وحده في الطريق ليس معه درهم واحد، فوصل إلى كوخ استراح فيه، والتقى في الطريق بالقبائل التي تقطن الصحاري، فنزل ضيفاً عندهم.

وصل إلى قبيلة قرب الحلَّة دعته ليحل ضيفاً عندها، وخلال تلك الأيّام شاهد عدَّة أشخاص قادمين فسأل عنهم، فقيل: إنَّهم يذهبون لزيارة قبر الحسين (ع)، فالتمس منهم النصراني أن يأخذوه معهم فوافقوا على أن يكون أميناً لهم على ما معهم.

وحين وصلت القافلة قالوا له: إنَّنا ذاهبون لموكب العزاء، هذه ملابسنا احفظها عندك، وابق الليلة وهي ليلة عاشوراء وسنعود لك غداً، وجلس النصراني في زاوية من الصحن الشريف ومعه ملابسهم.

نظر النصراني فيما حوله فرأى أموراً جديدة!

عند السحر غلبه النوم فرأى رجلاً عظيماً خارجاً من الحرم المطهَّر، وهو يقول لشخصين كانا معه: «سجّلوا اسم كلّ من جاء إلى كربلاء».

بعد لحظات من ذهاب هذين الشخصين عادا وفي أيديهما سجل وهما يقولان: سيّدنا لقد سجَّلنا أسماء الجميع.

فقال: «لم يفت من قلمكم أحد في الأطراف والزوايا؟»، قالوا: لا، لقد سجَّلنا الجميع.

فقال: «إذن لماذا لم تسجّلوا اسم هذا النصراني؟».

قالوا: سيّدنا إنَّه نصراني، ولم يرد بقصد زيارتكم، فقال كلمة تغيَّر

فيها حال ذلك النصراني، قال: «أ لم ينزل بساحتنا؟»، فهو ضيفنا لأنّه حلَّ بصحننا، وكلّ من حلَّ في بساط الحسين (ع) يجب أن يجازى، وهذا النصراني أيضاً يجب أن يجازى.

وانتهى الأمر بالنصراني وهو ينتظر رفقاءه لاطماً باكياً ناحباً.

وفي الغد حين أقبل رفقاؤه طلب منهم أن يمكّنوه من الدخول للحرم الشريف، وشرح لهم قصَّته، ثمّ أسلم وصار حسينياً.

رأس الحسين (ع) يتكلَّم بالقرآن:

إنَّ ثورة الحسين حدثت من أجل القرآن، «فلعمري ما الإمام إلاَّ العامل بالكتاب»، ومن عجائب الدهر أنَّ رأس الحسين (ع) تكلَّم بالقرآن الكريم.

نعم إنَّ الذي له علاقة شديدة بالقرآن قد يتكلَّم بالقرآن أثناء نومه ولكن أن يتكلَّم رأس مقطوع من الجسد بالقرآن فهذه لم تعرف بالتاريخ إلاَّ للإمام الحسين (ع).

لقد كان الحسين (ع) عاشقاً لتلاوة القرآن، ولذا فإنَّه ليلة عاشوراء لمَّا أرسل أخاه العبّاس (ع) بعد أن تقدَّمت صفوف الخيل على المخيم، وقال له: «يا عبّاس اركب بنفسي أنت يا أخي حتَّى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عمَّا جاء بهم».

فأتاهم العبّاس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العبّاس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتَّى ارجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم... فانصرف العبّاس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر...

قال (ع): «ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلَّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة

الدعاء والاستغفار»[١].

هذا مشهد يدلّنا على مدى علاقة الحسين (ع) بالقرآن.

والمشهد الآخر حينما دخل رأس الحسين (ع) إلى الكوفة مع المحامل وفي مطلعها رؤوس أهل البيت (ع) على رؤوس الرماح، يقول زيد بن أرقم: مرَّ به عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلمَّا حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ [الكهف: ٩]، فقفَّ والله شعري[٢] وناديت: رأسك والله يا بن رسول الله أعجب وأعجب[٣]. والمسافة الطويلة التي قطعها الرأس وخلال مدّة لا تقلُّ عن عشرين يوماً مع ذلك فقد كان مروان بن الحكم يقول له:

يا حبذا بردك في ولونك الأحمر في

---

(١) أنظر: مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٠٥ و١٠٦.

(٢) قفَّ شعري، أي قام من الفزع. (الصحاح ٤: ١٤١٨/ مادّة قفف).

(٣) الإرشاد ٢: ١١٧.

(٤) مثير الأحزان: ٧٥.

لكن هذا النور و هذا الوجه الذي هو كالقمر علاه التراب، ولهذا فإنَّ زينب خاطبت رأس الحسين (ع) قائلة:

يا هلالاً لمَّا استتمَّ غاله خسفه فأبدا
ما توهَّمت يا شقيق كان هذا مقدّراً
يا أخي فاطم فقد كاد قلبها أن
يا أخي قلبك ما له قد قسى
يا أخي لو ترى مع اليتم لا يطيق
كلَّما أوجعوه ك بذلّ يفيض دمعاً
يا أخي ضمه إليك وسكّن فؤاده
ما أذلّ يتيم حين بأبيه ولا يراه

مشاهد الغيب في الحركة الحسينية:

إنَّ موضوع نطق رأس الحسين (ع) يجرّنا للحديث عن مشاهد الغيب، فقد كانت حركة الحسين (ع) محاطة بكثير من المشاهد الغيبية، ففي الوقت الذي نؤمن بالتفسير الديني _ كما سبق في المحاضرة الأولى _ إلاَّ أنَّ يد الغيب لم تنقطع عن حركة الحسين (ع)، ويد

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١١٥.

السماء لم تكن بعيدة عن الأرض لنصرة الدين والحقّ، فهناك عدَّة مشاهد غيبية في حركة الإمام الحسين (ع) يمكن أن نسجّل أهمّها:

المشهد الأوّل: توقّف الجواد:

جاء في بعض الروايات أنَّ الحسين (ع) لمَّا وصل إلى كربلاء في اليوم الثاني من محرَّم الحرام توقّف جواده ولم يتحرَّك، هنا سأل الحسين (ع): «ما يقال لهذه الأرض؟»، قالوا: تسمى كربلا، فقال: «هذه والله أرض كرب وبلا، هاهنا تقتل الرجال وترمل النساء، وهاهنا محلّ قبورنا ومحشرنا»[1]، وهذا مشهد من مشاهد الغيب الحاضر في حركة الحسين (ع)، فلا أحد يستطيع أن يفسّر توقّف جواد الحسين (ع) إلاَّ الأمر الإلهي الغيبي.

المشهد الثاني: عين الماء:

لمَّا أضرَّ العطش بالحسين وأصحابه أخذ الحسين (ع) فأساً وجاء إلى وراء خيمة

(١) ينابيع المودَّة ٣: ٦٣.

النساء فخطا في الأرض تسع عشر خطوة نحو القبلة ثمّ حفر هناك، فنبعت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين (ع) و شرب الناس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثمّ غارت العين، فلم يُرَ لها أثر[١].

فالسؤال هو كيف غارت تلك العين؟ ولماذا في يوم واحد فقط؟ نعم لقد كان موعد الشهادة هو اليوم العاشر، ولا بدَّ أن يبقى الحسين (ع) لذلك اليوم.

المشهد الثالث: نطق الرأس الشريف:

فقد تكلّم الرأس الشريف في أكثر من موضع، ولا شكَّ أنَّ هذا من تأثيرات عالم الغيب واليد الإلهية التي جعلت الرأس يتكلَّم بكلام منطقي ومدروس وجميل.

يقول الشهيد السيّد محمّد الصدر 1 في كتابه (أضواء على الثورة الحسينية)[٢]:

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٧.

(٢) الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات كان يلقيها 1 على طلبة الحوزة العلمية في

كنّا قبل خمس وعشرين سنة جلوساً في مجلس لتحضير الأرواح، فحضَّروا روحاً فسألناها: هل تكلَّم رأس الحسين (ع)؟

فأجابت الروح: نعم تكلَّم رأس الحسين (ع) سبع مرَّات.

يقول 1: لم تكن لدينا احصائية عن عدد مرَّات تكلّم رأس الحسين (ع)، ولكن بعد خمس وعشرين سنة أخرى من تلك الجلسة اطَّلعت على كتاب لمؤلّف مسيحي هو أنطوان بارا تحت عنوان (الحسين في الفكر المسيحي)[١]، فكان في كتابه احصائية لعدد المرَّات التي تكلَّم فيها رأس الحسين (ع) وإذا هي سبع مرَّات:

المرَّة الأولى: جاء في (مناقب آل أبي طالب)[٢]: روى أبو مخنف عن الشعبي أنَّه صلب رأس الحسين بالصيارف _ أي سوق الصرّافين _ في الكوفة فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى

(مسجد الرأس) في النجف الأشرف.

(١) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ١١٥ و١١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢١٨.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ (الكهف: ١٣).

المرَّة الثانية: روي أنَّهم لمَّا صلبوا رأس الحسين (ع) على الشجرة سمع منه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)[١].

المرَّة الثالثة: روى هلال بن معاوية، قال: رأيت رجلاً يحمل رأس الحسين (ع) في مخلاة فرسه، فسمعت أذناي، ووعى قلبي، والرأس يقول: «فرَّقت بين رأسي وجسدي، فرَّق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالاً للعالمين»، فرفع سوطاً كان معه ولم يزل يضرب به الرأس حتَّى سكن[٢].

المرَّة الرابعة: عن الحارث بن وكيدة، قال: كنت فيمن حمل رأس الحسين، فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشكّ في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله، فقال لي: «يا بن وكيدة، أمَا علمت أنَّا معشر الأئمّة أحياء عند ربّنا نرزق؟».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مدينة المعاجز ٤: ١٠٠/ ح (١١١٣/١٦٦).

المرَّة الخامسة: قال ابن وكيدة: فقلت في نفسي: أسرق رأسه، فنادى: «يا بن وكيدة، ليس لك إلى ذاك سبيل، سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييرهم رأسي، فذرهم فسوف يعلمون، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون»[١].

المرَّة السادسة: عن المنهال بن عمرو، قال: أنا والله رأيت رأس الحسين (ع) حين حُمل وأنا بدمشق، وبين يديه رجل يقرأ [سورة] الكهف، حتَّى بلغ قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ (الكهف: ٩)، فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق، فقال: «أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي»[٢].

المرَّة السابعة: روي أنَّ يزيد كان يتَّخذ مجالس الشراب واللهو والقيان والطرب ويحضر رأس الحسين بين يديه، فحضر مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشرافهم، فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟

---

(١) دلائل الإمامة: ١٨٨/ ح (١٣/١٠٨).
(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٥٧٧/ ح ١.

قال: ما لك ولهذا الرأس؟

قال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء شاهدته، فأحببت أن أخبره بقضيّة هذا الرأس وصاحبه ليشاركك في الفرح والسرور.

قال: هذا رأس الحسين بن علي.

قال: ومن أُمّه؟

قال: فاطمة بنت رسول الله.

فقال النصراني: أفٍ لك... إنَّ أبي من حفدة داود (ع) وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظّمون قدري ويأخذون من تراب قدمي تبرّكاً بأنّي من الحوافد...

فقال يزيد: اقتلوه لئلاً يفضحني في بلاده.

فهنا نطق الرأس قائلاً: «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله»[1].

هذه هي المرَّات السبع التي تكلَّم فيها رأس الحسين (ع).

---

(١) راجع: مثير الأحزان ٨٣ وليس فيه تكلّم الرأس؛ العقيلة والفواطم لحسين الشاكري: ١٨١.

نطق رأس الحسين (ع) حقيقة أم خرافة:

لقد نطق رأس الحسين (ع) عدَّة مرَّات، ولكن لندرس هل إنَّ فكرة نطق الرأس هي خرافة أم تتَّسق مع الفكر القرآني والديني؟

روى الخطيب البغدادي _ وهو من كبار علماء أهل السُنّة _ المتوفّى (٤٦٣ هـ) في كتابه (تاريخ بغداد)[١]: عن محمّد بن إسحاق السرّاج، قال: سمعت خلف بن سالم يقول: بعدما قتل أحمد بن نصر وقيل له: ألا تسمع ما الناس فيه؟ قال: وما ذاك؟ قال: يقولون: إنَّ رأس أحمد بن نصر يقرأ القرآن، قال: كان رأس يحيى بن زكريا يقرأ.

إنَّ هناك علاقة بين يحيى وبين الحسين H، فعن جعفر بن محمّد الصادق (ع): «ما بكت السماء والأرض إلاَّ على يحيى بن زكريا والحسين H»[٢].

---

(١) تاريخ بغداد ٥: ٣٨٧.

(٢) كامل الزيارات: ١٨٦/ باب ٢٨/ ح (٢٢/٢٦٢).

وكان الإمام الحسين (ع) في كلّ حركته يستذكر يحيى بن زكريا، فعن علي بن الحسين H، قال: «خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلاّ ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنَّ رأس يحيى بن زكريا (ع) أُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[1].

الفكرة هي أنَّ التاريخ الإسلامي يقول: إنَّ رأس أحد الأنبياء قد نطق وهو رأس يحيى بن زكريا، فلو قبلنا ذلك إذن فسوف نقبل فكرة نطق رأس الإمام الحسين (ع)، فالقضيّة كلّها إعجاز.

القرآن يشهد بكلام الميّت:

وعن ابن أبي عمير، عن بعض رجالهم، عن أبي عبد الله (ع)، قال: «إنَّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعد مائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عمّ لذلك الرجل وكان فاسقاً رديّاً

(١) الإرشاد ٢: ١٣٢.

فلم ينعموا له، فحسد ابن عمّه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثمّ حمله إلى موسى (ع) فقال: يا نبيّ الله هذا ابن عمّي قد قتل، قال موسى: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جدّاً، فعظم ذلك على موسى، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبيّ الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بارّ وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكره ابنه أن ينبّهه وينغّص عليه نومه، فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته، فلمّا انتبه أبوه قال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأنَّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أُنبّهك وأنغّص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر بني إسرائيل أن

يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلمَّا اجتمعوا إلى موسى وبكوا و ضجّوا قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فتعجَّبوا فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة، فقال لهم موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾، فعلموا أنَّهم قد أخطأوا فقالوا: ﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ﴾ والفارض التي قد ضربها الفحل، والبكر التي لم يضربها الفحل، فقالوا: ﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها﴾ أي شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي لم تذلّل ﴿وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي لا تسقى الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها﴾ أي لا نقط فيها إلاَّ الصفرة، ﴿قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾ هي بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلاَّ بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم موسى: لا بدَّ لكم من ذبحها بعينها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها ثمّ قالوا: ما تأمرنا

يا نبيّ الله فأوحى الله تعالى إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتلك؟ فأخذوا الذَنَب فضربوه به وقالوا: من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان بن فلان ابن عمّي _ الذي جاء به _. وهو قوله: ﴿فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧ _ ٧٣]»[1].

إنَّ الهدف من عرض هذه القصَّة القرآنية هو التأكيد على عدم استحالة أن يتكلّم الميّت بمشيئة الله تعالى، كما تكلَّم ذلك الرجل الميّت من بني إسرائيل، فهل سيكون ممنوعاً في الفكر الديني أن يتكلَّم رأس الحسين (ع)؟

يقول الفكر الديني: إنَّ رأس يحيى بن زكريا قد تكلَّم، والقرآن الكريم يقول في قصَّة البقرة: إنَّ شاباً قد نهض بعد موته وتكلَّم، وإذا كان رأس الحسين (ع) قد تكلَّم فإنَّ في ذلك

---

(١) تفسير القمي ١: ٤٩ و٥٠؛ بحار الأنوار ١٣: ٢٥٩ و٢٦٠/ ح ١.

مزيداً من الحجّة والبرهان وسطوعاً في وضوح مظلومية الحسين (ع) وهتكاً للأقنعة التي لبسها الحكم الأموي.

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

المحاضرة الثالثة:

الإمامة السياسية

لأهل البيت (ع)

- الإمامة السياسية لأهل البيت (ع).
- نظريات في الزعامة السياسية.
- الدليل على الإمامة السياسية لأهل البيت (ع).
- العناية الإلهية.
- قصّة رضوان خازن الجنان.
- سؤال وجواب: معنى «وأنا من حسين».
- نظرية الأساس الذرّي للكون.
- نور وجه الحسين (ع).
- مناقشة في مشاهد الغيب.
- بكاء السماء.
- بكاء الملائكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد تحدَّثنا في المحاضرة الأولى والثانية عن مرتبة (المودَّة الواجبة) ومرتبة (الإمامة الفكرية) لأهل البيت (ع)، وحديثنا الليلة عن المرتبة الثالثة، وهي الإمامة السياسية لأهل البيت (ع).

فقد كان الإمام الحسين (ع) ينطلق في حركته من الإيمان بأنَّ أهل البيت (ع) هم الأولى بالإمامة والزعامة، بينما لا يستحقّ غيرهم هذا الموقع، ولا تقبل لهم شريعة الإسلام أن يطيعوا من سواهم.

لقد قال (ع): «ألا وإنَّ الدَّعي ابن الدَّعي قد ركز بين اثنتين بين السلَّة والذلَّة، وهيهاتَ منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس

أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...»[١]، هذا الأمر ينقلنا للحديث عن الإمامة السياسية من وجهة نظر أهل البيت (ع) وشيعتهم، فلنتحدَّث عن ذلك:

الإمامة السياسية لأهل البيت(ع):

نحن نعتقد أنَّ الزعامة السياسية هي حقّ أهل البيت (ع) لهم ولمن نصبوه بعدهم، والزعامة السياسية معناها من يجب أن نعطي طاعتنا له، والإسلام يؤكّد بأنَّ الطاعة هي حقّ لله تبارك وتعالى في ذمّة العباد، ومن الله للأنبياء، ومن الأنبياء للأئمّة (ع) ومن الأئمّة لنوّابهم، ولا يجب على الإنسان أن يكون مطيعاً إلاَّ وفق هذه المقاسات التي جاءت عن الله تبارك وتعالى فهو السيّد الأوّل والملك الجبّار والسلطان وهو الذي له الحقّ أن تكون الطاعة المطلقة له، ورأي الإسلام أنَّ أيّة طاعة لغير الله فهي عبودية لغير الله سبحانه.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٥٩.

ومن المناسب هنا أن نتحدَّث عن نظريات في الزعامة السياسية:

نظريات في الزعامة السياسية:

هناك ثلاث نظريات في مسألة الزعامة السياسية وقيادة الشعوب:

النظرية الأولى: الإدارة الذاتية:

تقول هذه النظرية: أنَّ الأمم والشعوب لا تحتاج إلى قائد وإمام فهي تدير نفسها بنفسها وهو ما يسمّى بـ (الإدارة الذاتية)، وهذه هي نظرية الخوارج حينما قالوا أن: (لا حكم إلاَّ لله)، وأنَّ الناس يديرون أنفسهم بأنفسهم وهم غير محتاجين إلى مشرف أعلى و(شاهد) حسب الاصطلاح القرآني، وهي أيضاً نظرية الشيوعية لمستقبل البشرية، حيث إنَّهم لا يحتاجون إلى مشرف أعلى ولا إلى دولة ولا إلى مؤسسات دولة وإنَّما يدار المجتمع عبر (الإدارة الذاتية).

النظرية الثانية: إدارة الفرد القائد:

تؤمن هذه النظرية بحاجة الأمّة إلى قائد و شاهد ومشرف و مدير أعلى، ولعلَّ تاريخ الأمم يؤيّد هذه النظرية، وحتّى النُظُم الملكيّة مثل بعض الدول الكبرى الآن بما فيها الدول الأوربية مثل بريطانيا لديهم ملكة وهم يفترضون ضرورة وجود مشرف أعلى بمثابة الأب الروحي مهما كانت صلاحياته قليلة، كما أنَّ النظم الديكتاتورية تقول بهذه النظرية أيضاً.

النظرية الثالثة: إدارة المعصوم:

وهي النظرية الإسلاميّة التي ترى أنَّ الأمّة تحتاج إلى مشرف وشاهد ومدير أعلى، لكن هذا القائد يجب أن يكون مثلاً أعلى في السلوك الصالح، وهو ما يعبَّر عنه الأدب الديني بـ (العصمة)، فذلك هو من يستحقّ الطاعة، أو من يُنصّبه المعصوم وهو نائبه.

القرآن الكريم ربَّما يشير إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّما أَنتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ (الرعد:

٧)، الأمّة والشعب على طول الخطّ بعد النبيّ (ص) يحتاجون إلى من يهديهم ويرشدهم، وهذه هي نظرية شيعة أهل البيت (ع) بالخصوص وأنَّه لا بدَّ من شاهد وإمام وهذا الإمام مشروط بالعصمة، وبغير العصمة لا يوجد حقّ لأحد أن أُسلّم أموري بيده، ولهذا فإنَّ اعتقادنا بفقهائنا ومراجع الدين أنَّهم نوّاب المعصوم، وهذا هو أساس طاعة شيعة أهل البيت لمراجع الدين على أساس أنَّهم يمثّلون المعصوم، وأنَّ سلطة هذا الفقيه هي امتداد من المعصوم إلى النبيّ (ص) إلى الله تبارك وتعالى، فإنَّ ارتباطنا بمراجع الدين ليس ارتباطاً بمستوى تعلّم الأحكام الفقهية منهم فقط وإنَّما ارتباط بالشأن السياسي أيضاً.

الدليل على الإمامة السياسية لأهل البيت (ع):

قال رسول الله (ص) في حجّة الوداع بغدير خمّ بعد عودته من الحجّ حين جمع المسلمين ونصبت له أعواد فارتقاها:

«يوشك أن أُدعى فأُجيب وإنّي مسؤول وإنَّكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً... ثمّ قال: «أيّها الناس إنَّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه _ يعني علياً _ اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»[١].

وفي موضع آخر قال (ص): «أمَا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنَّه لا نبيّ بعدي»[٢]، فهو يعني أنَّ نفس الصلاحيات الدينية والسياسية التي كانت لموسى وأعطاها لهارون تكون لك يا علي والفرق أنَّ الإمام (ع) ليس بنبيّ.

وهكذا قوله (ص): «مثل أهل بيتي فيكم

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٨٠.

(٢) الإرشاد ١: ١٥٦؛ صحيح البخاري ٥: ١٢٩ وفيه: «ألا ترضى...».

كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»[1]، وهذا ارتباط سياسي وليس فقط اتّباع فكري، وهذا كلّه فيما عدا الآيات الكريمة الدالّة على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

هذا عرض سريع لمعنى الإمامة السياسية لأهل البيت (ع) والدليل عليها.

ونحن نعتقد أنَّ العالم الإسلامي بعد رسول الله (ص) قد ضيَّع المودَّة لأهل البيت (ع) حتّى أنَّ أحدهم يقف في قصر الخلافة الإسلاميّة ويقول لخليفة المسلمين! وهو يحمل رأس الحسين (ع):

أوقر ركابي فضّةً أنا قتلتُ السيّد
قتلتُ خير الناس وخيرهم إذ ينسبون

فأيّ مودَّة هذه؟! الأمّة بعد رسول الله (ص) ضيَّعت المرتبة الأولى لأهل البيت

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ١: ٣٠/ ح ١٠؛ المعجم الصغير ١: ١٣٩.
(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٢٨.

(ع) وهي المودَّة، كما ضيَّعت المرتبة الثانية و هي الإمامة الفكرية، فالناس من غير شيعة أهل البيت (ع) يأخذون علوم الفقه الإسلامي من غير أئمّة أهل البيت (ع)، ألا يسألون أنفسهم أين أهل البيت الذين أوصى بهم رسول الله (ص)؟ فلماذا تأخذون من الأشعري والأوزاعي ولا تأخذون من جعفر الصادق (ع) ومحمّد الباقر (ع) وهم أساتذة الجميع؟ هكذا بعض أئمّة الحديث يروون عن هذا وذاك ولا يروون رواية واحدة عن جعفر بن محمّد الصادق (ع)، أ هذه هي الإمامة الفكرية عندهم؟! ما لهم يتَّبعون أبا موسى الأشعري في العقائد؟ وهو ليس بمنزلة زين العابدين (ع)، ولا باقر علم النبيّين الذي قال فيه رسول الله (ص): «يبقر العلم بقراً»[1].

العالم الإسلامي اليوم تتقسَّمه _ فيما عدا شيعة أهل البيت (ع) _

---

(١) الكافي ١: ٤٦٩/ باب مولد أبي جعفر محمّد بن علي H/ ح ٢.

المذاهب الأربعة، وبعض أئمّة هذه المذاهب كانوا معاصرين للإمام الصادق (ع) ثمّ جاءت السلطة العبّاسية في القرن الرابع الهجري فعمَّمت مرسوماً ديوانياً لكلّ شعوب العالم الإسلامي أنَّه لا يجوز التعبّد إلاَّ بهذه المذاهب الأربعة، وبعد (١٤) قرناً جاء شيخ الأزهر محمّد شلتوت _ بعد حوار ولقاءات مع علماء مذهب أهل البيت (ع) _ فقال بأنَّ مذهب الشيعة هو مذهب خامس يجوز التعبّد به، نعم بعد (١٤) قرناً من المنع السياسي والثقافي، بينما بقي شيعة أهل البيت (ع) مصرّين على أن لا يتخلّوا عن أهل البيت ولو دارت الدنيا عليهم.

وكما تخلَّت الأمّة عن الإمامة الفكرية لأهل البيت (ع) كذلك تخلَّت عن الإمامة السياسية لهم، فأصبح الأئمّة من أهل بيت النبيّ (ص) يعانون التشريد والتقتيل والسجون، بينما الأمّة يسوقها اللقطاء ويحكمها الأدعياء.

هذا هو ما دعا الإمام الحسين (ع) للثورة ضدّ النظام الحاكم المنحرف حين قال: «ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[١].

العناية الإلهية بالدين والمذهب:

ولكن دعونا ننتقل الآن من الحديث عن مراتب أهل البيت (ع) إلى مدلول آخر في حركة الإمام الحسين (ع)، وهو العناية الإلهية بالدين والمذهب، وأنقل لكم هنا نصّين:

النصّ الأوّل:

عن الإمام الباقر (ع)، قال: «إنَّ الحسين (ع) قال لأصحابه _ حينما جمعهم _: اللّهمّ إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حلّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٧.

فاتَّخذوه جملاً، وتفرَّقوا في سواده، فإنَّ القوم إنَّما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»[١]، وهنا قال لهم الإمام الحسين (ع) حسب رواية الإمام الباقر (ع): «أبشروا بالجنّة، فوَالله إنّا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثمّ يخرجنا الله وإيّاكم حتّى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب.

فقيل له: من قائمكم، يا ابن رسول الله؟

قال: السابع من ولد ابن محمّد بن علي الباقر، وهو الحجّة ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي ابني وهو الذي يغيب مدّة طويلة، ثمّ يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٢].

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٢٠/ المجلس ٣٠/ ح (١/٢٣٩).

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٩٨ و٤٩٩/ ح (٢٥٩/٤٧٦)، نقلاً عن مقتل الإمام

ها هو الإمام الحسين (ع) ليلة عاشوراء حيث الدنيا محيطة به، وثلاثون ألف قد تجمَّعوا لقتاله:

بجحافل بالطفّ وأخيرها بالشام
ملءُ القفار على وملءُ قلوبهم ذُحلُ

ومع كلّ ذلك يقول الإمام الحسين (ع): نحن منتصرون، فلنا قائم يغيب مدّة طويلة ثمّ يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وسوف لن يموت هذا الدين ولن يضيع الحقّ فإنَّ وراءه ومعه عناية الله تعالى.

فالعناية الإلهية كانت وراء حركة الأنبياء وحركة الأئمّة الأطهار وحركة أتباع القرآن ونحن غير بعيدين عن حماية الله تعالى.

النصّ الثاني:

عن الإمام السجّاد (ع) بينما كانوا سبايا في الطريق إلى الشام يقول: «إنَّه لمَّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا، وقتل أبي (ع) وقتل من كان

الحسين (ع) للمقرَّم: ٢١٥/ طبع دار الثقافة.

معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنت ذلك منّي عمّتي زينب بنت علي الكبرى.

فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرَّجين بدمائهم مرمَّلين، بالعراء مسلبين، لا يكفَّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنَّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنَّك ما ترى فوَالله إنَّ ذلك لعهد من رسول الله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في

أهل السماوات أنَّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنَّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاَّ ظهوراً وأمره إلاَّ علواً...»[١].

وهكذا نجد أنَّ الإيمان والاعتقاد بالعناية الإلهية هي أحد المعاني التي قارنت حركة الحسين (ع) وثورته.

قصَّة رضوان خازن الجنان:

يقول أحد المؤمنين: رأيت في المنام وكأنّي أسأل ملك الجنّة (رضوان) الحافظ على قائمة أسماء أهل الجنّة عن المفكّر الشهيد آية الله السيّد حسن الشيرازي[٢]، هل هو من أهل

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٧٩ و١٨٠.

(٢) وهو أحد علماء كربلاء كان قد اعتقل وعذّب أشدّ أنواع التعذيب ثمّ أُطلق سراحه وهاجر

الجنّة؟

فنظر (رضوان) في القائمة، ولكنّه لم يجد هذا الاسم.

فقلت له: إنّه السيّد حسن ابن المرجع التقي الورع الميرزا مهدي الشيرازي ;، صاحب المواقف الجهادية المعروفة، وله مؤلّفات خدمت الفكر الإسلامي، وله مشاريع خيرية وعلمية وطلبة علوم دينية، إنّه مؤسّس الحوزة الزينبية في سوريا جوار مرقد السيّدة زينب (ع). كيف لا تجد اسمه في عداد أهل الجنّة؟! هذا شيء عجيب.

فأخذ (رضوان) يتصفّح ثانية القائمة، وهو متحيّر، فاستطردت أقول: إنّه السيّد حسن الشيرازي، الذي استشهد على أيدي القتلة البعثيين العراقيين. صاحب كتب ومؤلّفات كثيرة، منها موسوعة الكلمة (كلمة الله) و(كلمة الإسلام) و(كلمة الرسول الأعظم (ص))

إلى لبنان وهناك لاحقه جلاوزة حزب البعث وقتل شهيداً عام (١٩٨٠م)، وكان من أوائل من استشهد على يد نظام صدام.

و(كلمة المهدي (ع)) و(كلمة الإمام الحسن (ع)) وكتاب (الشعائر الحسينية) وكتاب (التوجيه الديني)...

وهنا قاطعني (رضوان) قائلاً: نعم اسمه عندنا في القائمة (صاحب الشعائر الحسينية)[١].

نعم، ربَّما يكون ذلك إشارة إلى أنَّ الناس تُسجَّل أسماؤهم يوم القيامة على أساس هويّاتهم وأعمالهم وإنجازاتهم، ومعنى ذلك أنَّ أصحاب الشعائر الحسينية كلّهم يدخلون في هذا العنوان فهنيئاً لأصحاب الشعائر الحسينية.

سؤال وجواب:

ما معنى قول رسول الله (ص): «حسين منّي وأنا من حسين»؟ فقد نفهم معنى «حسين منّي» لكن ماذا يعني: «وأنا من حسين»؟ فكيف يكون رسول الله (ص) من

(١) أنظر: القصص العرفانية لرضا محمّد حدرج: ١٨٥ و١٨٦.

الحسين (ع)؟

قبل تحليل هذا النصّ يجب علينا التأكّد بأنَّ هذا النصّ صادر عن رسول الله (ص)، لأنَّنا نجد أنَّ هذا النصّ يرويه أئمّة الحديث منهم: الترمذي، وابن ماجة، والبخاري في تاريخه، والحاكم في مستدركه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والمتّقي الهندي في كنز العمّال، وابن الأثير في أسد الغابة، وابن عساكر في تاريخه، والطبراني في المعجم الأكبر[1]، وأنا أقرأ لكم هذا الحديث بحسب ما جاء في هذه المصادر:

يقول يعلى بن مرة أنَّهم خرجوا مع النبيّ (ص) إلى طعام دعوا له، فإذا حسين

(١) أنظر: سنن الترمذي ٥: ٣٢٤/ ح ٣٨٦٤ بعضه؛ سنن ابن ماجة ١: ٥١/ ح ١٤٤؛ تاريخ البخاري ٨: ٤١٤ و٤١٥/ ح ٣٥٣٦؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٧٧؛ مسند أحمد ٤: ١٧٢؛ كنز العمّال ١٣: ٦٦٢/ ح ٣٧٦٨٤؛ أُسُد الغابة ٢: ١٩ بعضه؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٤٨ و١٤٩؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ٣٢/ ح ٢٥٨٦.

يلعب في السكة، قال: فتقدَّم النبيّ (ص) أمام القوم، وبسط يديه، فجعل الغلام يفرّ هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبيّ (ص) حتَّى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه فقبَّله، وقال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»، إذن هذا الحديث مروي في مصادر تاريخية مهمّة ومتعدّدة فلا يمكن لقائل أن يقول: هذا غلو أو هو حديث مفتعل قد وضعه الشيعة.

تفسير الحديث:

أمَّا «حسين منّي» فالحسين من ذرّية النبيّ (ص)، وأمَّا «وأنا من حسين» فهناك ثلاثة تفاسير:

التفسير الأوّل: إنَّ ذلك جاء على سبيل الكناية، كناية عن شدّة العلاقة والمحبّة بين رسول الله (ص) والحسين (ع).

التفسير الثاني: إشارة إلى وحدة المصير والمستقبل وأنَّ هذا كناية عن أنَّ رسول الله (ص) هو حيّ بالحسين (ع)

ومستقبل رسالة النبيّ باقية وحيّة بالحسين (ع).

التفسير الثالث: هو أنَّ الحسين والحسن وعلي وفاطمة ورسول الله (ص) يمثّلون حقيقة نورية وجوهرية واحدة عند الله تبارك وتعالى، وأنَّ هذه الحقيقة تشكَّلت وترجمت في الدنيا بهذا الشكل، أمَّا عند الله تبارك وتعالى فهي نور واحد كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «أوّل ما خلق الله نوري»[١]، وفي رواية أخرى: «خلقت أنا وعلي من نور واحد»[٢]، وتشعَّب هذا النور وهذه الكتلة النورية فكان منها فاطمة والحسن والحسين، وهي كتلة واحدة ليس فيها يمين ويسار ﴿بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾، فهم من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) منهم لأنَّ قطعة النور الواحدة بعضها من بعضها، والأوّل والآخر فيها

(١) عوالي اللئالي ٤: ٩٩/ ح ١٤٠؛ بحار الأنوار ١: ٩٧/ باب ٢/ ح ٧.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٠٧/ ح (١٠/٣٥١).

سواء.

في القرآن الكريم آيتان فيهما إشارة إلى هذه القضيّة:

الآية الأولى: في سورة آل عمران الآية (٣٣ و٣٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾، فالأنبياء وذرّياتهم بعضهم من بعض.

الآية الثانية: في سورة آل عمران الآية (١٩٥): ﴿فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، فجميع المسلمين يمثّلون كتلة واحدة وجوهراً واحداً وحقيقة واحدة عند الله تبارك وتعالى، وهم بعضهم من بعض الآباء والأبناء لا فرق.

نظرية الأساس الذرّي للكون:

وهذا الأمر يذكّرنا بنظرية علمية جديدة هي نظرية الأساس الذرّي للكون، وهي تعني أنَّ كلّ هذه النجوم والمجرّات ناشئة من انفلاق ذرّي تكوَّنت منه النجوم كما تكوَّنت منه سائر المجرّات، وقد تكون هذه النظرية شبيهة

بالنظرية الدينية التي تتحدَّث عن أنَّ النور هو أصل الكون كما ربَّما يشير إليه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، وهذه هي مجرَّد مقاربة فكرية ذكرناها للاقتراب من فكرة النور الواحد الذي خلقه الله تعالى فكان منه رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع).

هذه النظرية تقول: إنَّ الحسين والحسن وعلي وفاطمة ورسول الله (ص) هم نورٌ واحد، فالحسين من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) من الحسين (ع)، الحسين (ع) جزء من الكتلة النورية لرسول الله (ص) وهذه الكتلة النورية رسول الله (ص) جزء منها.

نور وجه الحسين (ع):

يوم عاشوراء كان الحسين (ع) في أشدّ العطش حتَّى أصبح بينه وبين السماء كالدخان من شدّة العطش، والجراحات ونزف الدم لم تبق للحسين (ع) طاقة فخرَّ صريعاً إلى الأرض، وعمل لنفسه وسادة من التراب

وضع خدّه عليها وبقي ثلاث ساعات من النهار على رمضاء كربلاء وحرّ الشمس ونزف الدم والعطش ومع كلّ ذلك يقول الراوي: (ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيأته عن الفكرة في قتله)[١]، وهذا هو نور رسول الله (ص) الذي كان في السماء حينما كان الحسين ورسول الله (ص) نوراً واحداً.

مناقشة في مشاهد الغيب:

هناك روايات تتحدَّث عن مشاهد الغيب في حياة الإمام الحسين (ع)، وهناك من يرى أنَّ هذه مجرَّد أساطير، وغلوّ فكري، نريد هنا أن نناقش هذا الموضوع، ولنبدأ أوّلاً باستعراض بعض المشاهد الغيبية:

الحسين (ع) يرتضع من إصبع الرسول (ص):

عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيّات، قال: حدَّثني رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله (ع): «... لم يرضع

(١) أنظر: اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٧٥.

الحسين من فاطمة ولا من أنثى لكنَّه كان يؤتى به النبيّ (ص) فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة»[١].

السماء تبكي لمقتل الحسين (ع):

وعن زرارة، قال: قال أبو عبد الله (ع): «يا زرارة إنَّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنَّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنَّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنَّ الجبال تقطَّعت وانتثرت، وإنَّ البحار تفجَّرت، وإنَّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين (ع)...»[٢].

وروي أنَّه لمَّا قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار[٣].

الملائكة يهبطون لنصرة الحسين (ع):

(١) كامل الزيارات: ١٢٤/ باب ١٦/ ح (٦/١٣٧).
(٢) كامل الزيارات: ١٦٧/ باب ٢٦/ ح (٨/٢١٩).
(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢١٢.

وعن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله (ع): «إنَّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي H، لم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قتل الحسين (ع)، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة»[١].

رأس الحسين (ع) يتكلَّم:

وعن زيد بن أرقم أنَّه قال: مُرَّ به _ أي رأس الحسين (ع) _ عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلمَّا حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ (الكهف: ٩)، فقفَّ والله شعري وناديت: رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب وأعجب[٢].

رسول الله (ص) يسقي علي الأكبر (ع):

وروي أنَّ علي الأكبر (ع) لمَّا خرج إلى القتال قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً

---

(١) كامل الزيارات: ١٧١ و١٧٢/ باب ٢٧/ ح (٢/٢٢٢).

(٢) الإرشاد ٢: ١١٧.

ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال: يا أبه! العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين (ع) وقال: «يا بنيّ يعزُّ على محمّد وعلى علي بن أبي طالب وعليَّ أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك»، فأخذ بلسانه فمصَّه ودفع إليه خاتمه وقال: «أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوّك فإنّي أرجو أنَّك لا تمسي حتَّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً». فرجع إلى القتال، فلمَّا سقط صريعاً قال رافعاً صوته: يا أبتاه هذا جدّي رسول الله (ص) قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: «العجل العجل! فإنَّ لك كأساً مذخورة حتَّى تشربها الساعة»[١].

عين ماء تنبع للحسين (ع):

وروي أنَّه لمَّا أضرَّ العطش بالحسين

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٥: ٤٣ و٤٤.

وأصحابه أخذ الحسين (ع) فأساً وجاء إلى وراء خيمة النساء فخطا في الأرض تسع عشر خطوة نحو القبلة ثمّ حفر هناك، فنبعت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين (ع) وشرب الناس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثمّ غارت العين، فلم يُرَ لها أثر[١].

الدعاء المستجاب:

وروي أنَّ رجلاً من بني تميم يقال له: عبد الله بن حوزة جاء حتّى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين يا حسين، فقال له حسين: «ما تشاء؟»، قال: أبشر بالنار، قال: «كلاَّ إنّي أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطاع، من هذا؟»، قال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: «ربّ حزه إلى النار»، فاضطرب به فرسه في جدول فوقع فيه، وتعلَّقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجر حتَّى مات[٢].

---

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٧.
(٢) أنظر: مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٢٥.

الإشكال على هذه المشاهد:

هذه مجموعة من مشاهد الغيب في حركة الإمام الحسين (ع) كما جاء في المصادر التاريخية المؤكَّدة، ولقد واجهت هذه الرؤية المؤمنة بالغيب إشكالاً لدى الناقدين من غير شيعة أهل البيت (ع)، فإنَّهم قالوا: أنتم الشيعة أُناس تغالون في الحسين، وهذه أكاذيب وخرافات قد وضعتها يد الشيعة وليس لها نصيب من الصحَّة.

يقول ابن كثير: (لقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً)[١].

ويقول عبد المجيد زارقط في كتابه (دراسات في التراث الأدبي)[٢] عن أحداث كربلاء، وهو يحاول أن يفسّرها تفسيراً لا شعورياً: (الأحداث قد لا تكون وقعت مادّياً) لا كسوف الشمس ولا

(١) البداية والنهاية ٨ : ٢١٩.
(٢) راجع: دراسات في التراث الأدبي لعبد المجيد زارقط: ٧١.

بكاء الملائكة والجنّ ولا الحجر والمدر، (غير أنَّها وقعت نفسياً...) أي إنَّ شدَّة الصدمة عند الشيعة جعلتهم يتخيَّلون، وجعل عالم اللاشعور يتحرَّك عندهم فيصوّر لهم أنَّ الملائكة بكت والسماء بكت وهكذا، إلاَّ أنَّ شيئاً من ذلك لم يتحقَّق وإنَّما هي أمور وقعت نفسياً، إلى أن يقول: (ولم يكن هذا الاحساس خاصّاً بالشيعة وإنَّما كان إحساساً عامّاً وصل إلى صميم النفس الإنسانية وإلى لا وعيها، وقد تمَّ التعبير عنه على شكل رؤى تجسّد الحالة الشعبية) مثل الحديث الشعري والروايات التي يكتبها المسرحيون والرواة، فهي ليست حقيقة وإنَّما هي انعكاس للصدمة النفسية.

أمَّا ابن تيمية المحاط قلبه بغشاوة عن علي وأهل البيت (ع)، فهو يقول عن هذه المشاهد: هذه خرافات وأساطير وضعها غلاة الشيعة، فالرسول مات ولم نسمع بكسوف الشمس، ولم تقع

هذه الأشياء عند مقتل علي والحسن رغم أنَّ الشيعة يعتقدون أنَّ علياً أفضل من الحسين، وإنَّما الشيعة غلاة قد وضعوا هذه القضايا حقداً على بني أميّة[١].

فيما يقول كاتب آخر: (الحسين لا يحتاج إلى مثل هذه الخرافات التي لا تزيده شرفاً فضلاً عن أنَّ عدم وقوعها لا ينقص من قدره ومقامه)[٢].

وهكذا يرى خصوم الشيعة أنَّ الشيعة هم من افتعل كذباً هذه الأحاديث واصطنعوها لإقناع وكسب الرأي العامّ.

نحاول أن نناقش هنا المشاهد الإعجازية، ونرى مدى مقبوليتها، فهل هي خرافات أم حقيقة؟ وهل وضعها الشيعة أو أنَّ السُنّة قبل الشيعة قد نقلوها في كتبهم؟

---

(١) راجع: منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٣٧ و٣٣٨.
(٢) سيّد شباب أهل الجنّة لعبد اللطيف مشتهري: ٤٤٧ و٤٤٩.

القضيّة الأولى: بكاء السماء على الحسين (ع):

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: إنَّ الحسين (ع) بكى لقتله السماء والأرض واحمرَّتا، ولم تبكِ يا على أحد قطّ إلاَّ على يحيى بن زكريا والحسين بن علي H»[١].

وهذه الروايات يرويها حتَّى المخالفين للشيعة مثل الطبري في كتابه (ذخائر العقبى) يقول في الرواية: (لمَّا قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً)[٢].

ومثله ما رواه الطبري والثعلبي: (لمّا قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها)[٣].

وهذا ما يرويه رواة التاريخ من أهل السُنّة، كما أنَّ زينب (ع) في خطبتها مع أهل الكوفة قالت لهم:

---

(١) كامل الزيارات: ١٨١/ باب ٢٨/ ح (٤/٢٤٤).
(٢) ذخائر العقبى: ١٤٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٥: ١٦٠؛ تفسير الثعلبي ٨ : ٣٥٣.

«أفعجبتم إن مطرت السماء دماً! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون»[١].

يقول المفسّرون _ مثل الرازي في تفسيره الكبير _[٢] في قوله تعالى: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾ (الدخان: ٢٩)، بأنَّ بكاء السماء فيه وجوه:

الأوّل: بكاء السماء نفسها، روى أبو يعلى عن أنس بن مالك، عن النبيّ (ص) أنَّه قال: «ما من عبد إلاَّ وله في السماء بابان باب يدخل عليه عمله وباب يخرج فيه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه»، وتلا هذه الآية: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾[٣].

الثاني: بكاء ملائكة السماء.

الثالث: إنَّه من باب المبالغة.

ثمّ يأتي الآلوسي في تفسيره (روح

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٨٧.
(٢) تفسير الرازي ٢٧: ٢٤٦.
(٣) مسند أبي يعلى ٧: ١٦٠ و١٦١/ ح ٤١٣٣.

المعاني)[١] فيروي عن ابن عبّاس قوله: إنَّ الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً، ثمّ قرأ الآية: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾.

هذا هو الفكر الديني الموجود عند أهل السُنّة، فهو يقبل أنَّ السماء تبكي على المؤمن، فلماذا يكون بكاؤها على الحسين (ع) كذباً وغلوّاً؟!

وعلى هذا الأساس نعتقد أنَّ بكاء السماء ليس غلوّاً بل يحتاج إلى تفسير، فهل السماء والأرض والحجر والمدر تملك الوعي أم لا تملك؟

يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤)، فالكائنات جميعاً تسبح بحمد الله تعالى، وهذا يعني أنَّ لديها وعي وإدراك.

روى البخاري عن جابر بن عبد الله أنَّه كان يقول: كان المسجد مسقوفاً

---

(١) روح المعاني ٢٥: ١٢٥.

على جذوع من نخل فكان النبيّ - إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلمَّا صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[١] حتَّى جاء النبيّ - فوضع يده عليها فسكنت[٢]. فالمؤرّخون يرون مثل هذه الروايات ولا أحد يرى في ذلك غلوّاً!

وروى أحمد بن حنبل عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله - بين يديه ركوة يتوضَّأ منها، إذ جهش الناس نحوه، فقال: «ما شأنكم؟»، قالوا: يا رسول الله إنَّه ليس لنا ماء نشرب منه ولا ماء نتوضَّأ به إلاَّ ما بين يديك، فوضع رسول الله - يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضَّأنا، فقلت: كم كنتم؟

(١) العشار: الإبل التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. (أنظر: القاموس المحيط ٢: ٣٤٤).
(٢) صحيح البخاري ٤: ١٧٣.

قال: لو كنّا مائة ألف كفانا، كنّا خمس عشرة مائة[١]. وفي هذا يقول الشاعر في مدح النبيّ (ص):

يا من يقوم مقام للواحد الفرد لم
يا من تفجَّرت من إصبعيه فروى

وهذه الأبيات مكتوبة على قبر النبيّ (ص)، فهل كان ذلك غلوّاً؟!

وحينما خاطب الله تعالى إبراهيم (ع) وقال له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فقد كانت هذه عظام ميتة فكيف استجابت؟

إذن هناك إدراك ووعي، فلماذا لا نقبل مثل هذا المعنى في الإمام الحسين (ع) حينما يبكي عليه كلّ حجر ومدر؟

القضيّة الثانية: بكاء الملائكة على الحسين (ع):

توجد لدينا عشرات الروايات تؤكّد أنَّ الملائكة بكوا على الحسين (ع) وما زالوا يبكون عليه، رغم أنَّ البعض

(١) مسند أحمد ٣: ٣٢٩.

يسمّي ذلك بـ (الجنائزية) ويعتبرها أفكاراً لا تناسب المثقَّفين، ولكن إذا كان الأنبياء والأئمّة يقولون بنفس الفكرة، فهل نقول: إنَّها لا تناسب المثقَّفين؟!

الحقيقة أنَّ شيعة الحسين (ع) حوَّلوا المحافل الحسينية من محافل أحزان إلى محافل لصنع الإنسان، والعالم الشيعي اليوم هو قطعة ملحمية واحدة باتّجاه تثبيت القيم الإنسانية، فأين الجنائزية التي يزعمون؟

ومع ذلك فإنَّنا نحاول أن نقدّم دراسة علمية لهذه القضيّة.

روى ابن قولويه عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله (ع): «أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين (ع) شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلاَّ استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلاَّ شيَّعوه، ولا يمرض إلاَّ عادوه، ولا يموت إلاَّ صلّوا على جنازته،

واستغفروا له بعد موته»[١]، هذا هو مشهد من مشاهد ارتباط الأرض بالسماء، فإذا كنّا نزور الحسين (ع) ونرتبط به فإنَّ الأنبياء والملائكة قد ارتبطوا بالحسين (ع).

يعترف القرآن الكريم بنزول الملائكة على الأرض ونصرتهم للمؤمنين، ففي معركة بدر يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٣ _ ١٢٦)، وهذا مشهد لنزول الملائكة وقتالهم مع المؤمنين، يقول الراوي: (لقد رأينا يوم بدر أنَّ أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك، فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه)[٢].

---

(١) كامل الزيارات: ٢٣٢/ باب ٤١/ ح (١/٣٤٤).
(٢) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ٤٠٩؛ تفسير الثعلبي ٤: ٣٣٤؛ تاريخ الطبري ٢: ١٥٤.

إذن حين تقول الروايات: إنَّ الملائكة نزلوا يوم عاشوراء، فذلك يتَّسق مع الفكر القرآني، وليس هو من الخيال أو من أدب الشعراء أو من صنع الضمير الشيعي.

ومن ناحية ثانية فإنَّ الملائكة في الفهم القرآني لديهم ارتباط مع البشر، وهم يصلّون على الناس ويستغفرون للذين آمنوا، قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب: ٤١ _ ٤٤)، فهم يصلّون ويستغفرون للمؤمنين، فهل يعترض أحد من المسلمين على ذلك؟

وهناك ملائكة مختصّون بالإنسان كرقيب يكتبون أفعاله وأقواله، وهناك ملائكة عظماء ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(غافر: ٧ _ ٩)، هؤلاء الملائكة العظماء يدعون للمؤمنين ولديهم تواصل إيجابي مع البشر.

ومن ناحية ثالثة فإنَّ الملائكة لا يصلّون ولا يستغفرون للبشر قط وإنَّما يبشّر بعضهم بعضاً بأخبار المؤمنين.

روى إسماعيل حقّي _ وهو من أبناء العامّة _ في تفسيره (روح البيان)[1]، قال النبيّ (ص): «إذا ولد مولود من أمّتي تباشرت الملائكة بعضهم ببعض من الفرح».

ومن ناحية رابعة فإنَّ الملائكة يبكون، روى البيهقي في كتابه (شعب الإيمان) والمتَّقي الهندي في كتابه (كنز العمّال): عن الهيثم بن مالك، قال: خطب رسول الله (ص) الناس فبكى رجل بين يديه، فقال (ص): «لو شهدكم اليوم كلّ مؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي لغفر لهم ببكاء هذا الرجل، وذلك أنَّ الملائكة

(١) تفسير روح البيان ٨ : ٣٢٠.

تبكي وتدعو له وتقول: اللّهمّ شفّع البكّائين فيمن لم يبكِ»[١].

يقول الحقّي في تفسيره (روح البيان)[٢]: قال رسول الله (ص): «إذا مات من أمّتي صغير أو كبير بكت عليه الملائكة».

وروى الثعلبي في تفسيره عن لقمان الحنفي قال: أتى النبيّ (ص) على شاب في جوف الليل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧)، فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول: ويحي من يوم تنشقّ فيه السماء، ويحي، فقال النبيّ (ص): «يا فتى مثلها أو مثلها، فوَالذي نفسي بيده لقد بكت الملائكة يا فتى من بكائك»[٣].

كلّ هذه الأحاديث تؤكّد أنَّ الملائكة

---

(١) شعب الإيمان ١: ٤٩٤؛ كنز العمّال ٣: ١٤٩/ ح ٥٩١٣.
(٢) تفسير روح البيان ٨ : ٣٢٠.
(٣) تفسير الثعلبي ٩: ١٨٨.

يبكون وينصرون ويستبشرون ويقاتلون كما قاتلوا في معركة بدر حسب النصّ القرآني، وحينئذٍ فلا يصحّ أن نقف موقف الشكّ والاتّهام بالغلوّ حين تحدّثنا الروايات بمصادر تاريخية دقيقة أنَّ الملائكة نزلوا لنصرة الحسين (ع) وهم ما زالوا عند قبره يبكون ويستغفرون لزوّاره، فما هو الغريب في ذلك؟ فالحسين (ع) ليس أقلّ من أيّ مؤمن بسيط، فلماذا الاتّهام بالغلوّ؟

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

المحاضرة الرابعة:

الحسين (ع)

والتأسيس للدولة العالمية الإسلاميّة

- الإمام الحسين (ع) يبشّر بالدولة العالمية الكبرى.
- تأسيس الدولة العالمية الإسلاميّة.
- روايات في الإمام المهدي (ع).
- روايات في غيبة الإمام (ع).
- شبهة حول طول عمر الإمام المهدي (ع).
- الدين ضرورة في الحياة.
- نظريات حول الدين.
- متى يحكم الدين؟
- مدَّة الحكومة العالمية.
- سؤال عن حديث: «الحسين مصباح الهدى

وسفينة النجاة».

- شكوك حول حركة الإمام الحسين (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الحسين (ع) يبشّر بالدولة العالمية الكبرى:

يروي المؤرّخون أنَّ الإمام الحسين (ع) قال لأصحابه في كربلاء: «... إنّا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثمّ يخرجنا الله وإيّاكم حتَّى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب.

فقيل له: من قائمكم، يا ابن رسول الله؟

قال: السابع من ولد ابن محمّد بن علي الباقر، وهو الحجّة ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي ابني وهو الذي يغيب مدّة طويلة، ثمّ يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1]، هذا

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٩٨

الحديث هو بشارة واضحة بالدولة العالمية الإسلاميّة الكبرى، وها هو الحسين (ع) يضع نفسه وحركته في طلائع هذه الدولة، هذا الموضوع يسوقنا للحديث عن تأسيس الدولة الإسلاميّة في آخر الزمان على يد أهل البيت (ع).

تأسيس الدولة العالمية الإسلاميّة:

أهل البيت (ع) كانوا هم البداية وسيكونون هم النهاية، «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ»[1]، فدولة الإسلام تأسَّست على يد رسول الله (ص) وهو سيّد أهل البيت (ع) وهناك دولة إسلاميّة عالمية تحكم كلّ البشرية في آخر الزمان ونهاية المطاف وهي الدولة الكبرى للإسلام وهي التي بشَّر بها رسول الله (ص) والتي «تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»، تحكم الشرق والغرب يؤسّسها واحد من ذرّية رسول الله (ص) وهو الإمام الثاني عشر من أهل

و٤٩٩/ ح (٢٥٩/٤٧٦)، نقلاً عن مقتل الإمام الحسين (ع) للمقرَّم: ٢١٥/ طبع دار الثقافة.

(١) كامل الزيارات: ٣٦٥/ باب ٧٩/ ح (٢/٦١٨).

البيت (ع) هو الحجّة القائم المهدي (ع).

نحن نعتقد أنَّ الخاتمة هي لـ لدين، فالقرآن الكريم يؤكّد نظرية انتصار الدين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، نظرية أنَّ ختام المسيرة البشرية يكون على يد الصالحين وحاكمية هؤلاء الصالحين وأنَّ الأرض كلّها تكون لهم في نهاية المسيرة البشرية، وهذه النظرية بهذا المقدار يتَّفق عليها كلّ المسلمين حيث يظهر رجل مصلح هو (المهدي) باتّفاق السُنّة والشيعة، والفرق أنَّنا نعتقد أنَّ هذا المهدي هو الإمام الثاني عشر وهو من أولاد فاطمة الزهراء (ع) وهو حيّ يرزق غائب عن الأنظار، أمَّا أهل السُنّة فإنَّهم يقولون: إنَّه غير مولود، بل سوف يولد في آخر الزمان[1].

(١) وهناك من علماء أهل السُنّة من يقول بأنَّ المهدي الذي بشَّر به رسول الله (ص) هو محمّد بن الحسن العسكري (ع)، مثل محمّد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ومثل ابن عربي

روايات في الإمام المهدي (ع):

من المفيد أن نقرأ بعض الروايات بهذا الشأن من مصادر أهل السُنّة والجماعة:

الرواية الأولى: قال رسول الله -: «لا تذهب الدنيا حتّى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»، هذه الرواية بهذا النصّ يرويها الطبراني كما يرويها الحاكم النيسابوري والإمام أحمد بن حنبل والمتّقي الهندي وأبو داود وغيرهم على اختلاف يسير في الألفاظ[١].

الرواية الثانية: عن أُمّ سَلَمة، قالت: سمعت رسول الله - يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٢].

صاحب (الفتوحات المكّية) وغيرهما.

(١) راجع: المعجم الصغير ٢: ١٤٨؛ مستدرك الحاكم ٤: ٤٤٢؛ مسند أحمد ١: ٣٧٦؛ كنز العمّال ١٤: ٢٧٠/ ح ٣٨٦٨٩؛ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ و٣١٠/ ح ٤٢٨١.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٣١٠/ ح ٤٢٨٤.

الرواية الثالثة: عن علي بن علي المكّي الهلالي، عن أبيه، قال: دخلت على رسول الله – في شكايته التي قبض فيها فإذا فاطمة ¿ عند رأسه، قال: فبكت حتَّى ارتفع صوتها فرفع رسول الله – طرفه إليها، فقال: «... يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ إنَّ منهما _ أي الحسن والحسين H _ مهدي هذه الأمّة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطَّعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله ﷻ عند ذلك منهما من يفتتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أوّل الزمان ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً»[1]، هذه بعض الأحاديث من مصادر أهل السُنّة حول الإمام المهدي (ع).

أمَّا مصادر الحديث عند الشيعة فإنَّها

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٥٧ و٥٨/ ح ٢٦٧٥.

تؤكّد أنَّ المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري (ع) وقد وُلد وغاب عن الأنظار، وسوف يخرج بعد غيبة طويلة يشكّ فيها الناس، وأنقل لكم هنا بعض هذه الروايات:

روايات في غيبة الإمام (ع):

الرواية الأولى: عن أبي غانم الخادم، قال: ولد لأبي محمّد _ العسكري _(ع) ولد سمّاه محمّداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: « هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتّد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»[1].

الرواية الثانية: عن محمّد ابن أيّوب بن نوح، ومحمّد بن عثمان العمري Ì، قالوا: عرض علينا أبو محمّد الحسن بن علي H ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلاً، فقال: « هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا

(١) كمال الدين: ٤٣١/ باب ٤٢/ ح ٨ .

تتفرَّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أمَا إنَّكم لا ترونه بعد يومكم هذا»[١].

الرواية الثالثة: عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن آبائه (ع)، قال: قال رسول الله (ص): «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلُقاً، تكون له غيبة وحيرة حتَّى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأ ها قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٢].

شبهة حول طول عمر الإمام المهدي(ع):

إنَّ أهمّ شبهة واجهت قضيّة الاعتقاد بولادة وغيبة الإمام المهدي (ع) هي شبهة طول العمر، فكيف يعيش إنسان من عام (٢٥٠) للهجرة و هو عام ولادته حسب نظرية الشيعة وإلى الآن بما يقارب

(١) كمال الدين: ٤٣٥/ باب ٤٣/ ح ٢.
(٢) كمال الدين: ٢٨٧/ باب ٢٥/ ح ٤.

(١٢٠٠) عاماً وربَّما يستمرّ إلى قرون عديدة؟

إنَّنا ببساطة نعتقد أنَّ القرآن الكريم يقدّم جواباً على هذه الشبهة.

إنَّ كلّ المسلمين يعتقدون بأنَّ عيسى بن مريم (ع) حيّ، لأنَّ القرآن يقول: ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٧ و١٥٨)، وكلّ المسلمين يعتقدون أنَّ عيسى وهو الآن في عالم السماء سيهبط إلى الأرض مرَّة أخرى عند تأسيس الدولة العالمية ويصلّي في المسجد الأقصى، ومعنى ذلك أنَّ عيسى عمره أطول من عمر الإمام المهدي لأنَّه كان قبل نبيّنا بـ (٦٠٠) عاماً.

ويمكن أن نقدّم نموذجاً آخر من القرآن الكريم وهو طول عمر الخضر و هو صاحب نـ بيّ الله مو سى (ع) في القصّة المعروفة والذي يشير إليه القرآن الكريم بالقول: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥)، قال

موسى (ع): ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ (الكهف: ٦٦)، والخضر بإجماع كلّ المسلمين حيّ يرزق إلى الآن، وهو يرافق الأنبياء والصالحين ولا يستطيع أحد من المسلمين أن يكذّب هذه الحقائق القرآنية، فكيف نفسّر طول العمر؟

والجواب الوحيد هو قدرة الله تعالى على كلّ شيء، كما أنَّ العلم لا يمنع من ذلك، بل يؤكّد قدرة الأنسجة البشرية على ديمومة الحياة إذا لم تتعرَّض لبعض الموانع.

ضرورة الدين في الحياة:

نحاول هذه الليلة أن نتحدَّث عن مفاهيم ننتزعها من ثورة الإمام الحسين (ع) ومن نصوص الثورة الحسينية، ومن تلك المفاهيم: هل الدين ضرورة؟ وماذا يقول الخطاب الحسيني في ذلك؟

وهذا السؤال مطروح اليوم

عالمياً، فهل يجب أن يكون للمجتمعات دين أم يمكن أن يبقى المجتمع الإنساني بدون دين وتكون الحياة سعيدة؟ لأنَّ الدين يناسب العصور الماضية أمّا في عصرنا هذا وهو عصر العلم والصناعة فالدين لم يعد ضرورة!

الخطاب الحسيني يقول: إنَّ الدين ضرورة ولا بدَّ من الدفاع عنه، وهذه الرسالة التي كتبها إلى زعماء الأخماس يقول (ع) فيها: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه (ص) فإنَّ السُنّة قد أُميتت، وإنَّ البدعة قد أُحييت»[١]، وفي خطابات أخرى متكرّرة هنا وهناك يؤكّد الإمام الحسين (ع) بأنَّ الدين ضرورة فيقول: «اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٢٥.

من دينك»[١]، فالدين ضرورة في ذاك الزمان وفي هذا الزمان.

نعود إلى سؤالنا عن الدين هل هو ضرورة في حياة البشر؟

نحن الآن في القرن الحادي والعشرين حيث التقدّم العلمي الكبير، فهل الدين ضرورة أم لا؟

ألا تكفي المعاهد والجامعات والمؤسّسات العلمية ومراكز الأبحاث أن تكون بديلاً عن الدين والشريعة الإلهية؟

نريد أن نعرف الجواب من خطابات الإمام الحسين (ع).

تقول النظرية الإسلاميّة: إنَّ الدين والشريعة الإلهية ستبقى ضرورة للبشر والبشرية لو بقيت إلى أبد الآبدين، فإنَّها بدون دين لا تنال سعادتها فلا بدَّ من دين.

هذه هي النظرية الإسلاميّة التي

---

(١) تحف العقول: ٢٣٩.

يقول فيها الحديث: «لو لم يبقَ من الدنيا إلاَّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يبعث الله رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١].

فالدين ضرورة، والبشرية سوف تعود إلى الدين، واليوم بدأت حركة العودة إلى الدين.

لا شكَّ أنَّ نصوص الثورة الحسينية تؤكّد أنَّ عودة المجتمع للدين ضرورة، وأن لا سعادة بدون الدين، ولذا فإنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) لم تحقّق الحرّية فقط، بل كانت مطالبة بحاكمية الدين أيضاً، وهو (ع) يقول: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي»[٢].

نظرية أُوجست كونت[٣]:

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

(٣) راجع في ذلك كتاب (تاريخ الفلسفة الحديثة)

هناك نظرية غربية مطروحة تقول: إنَّ البشرية مرَّت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الخرافة: وهي مرحلة ما قبل الأنبياء حيث كان الناس يعيشون على الأساطير والخرافات، واستمرَّت هذه المرحلة قروناً عديدة اعتماداً على الخرافة.

المرحلة الثانية: مرحلة النبوّة والكهانة: حيث تطوّر مستوى العقل البشري إلى مستوى الانفتاح على عالم السماء من خلال الأنبياء أو من خلال الكهنة.

المرحلة الثالثة: مرحلة العلم: وهي مرحلة الرشد العقلي بحيث أصبح الإنسان قادراً على تنظيم حياته دونما حاجة إلى السماء، وقد بدأت هذه المرحلة منذ النهضة العلمية وقبل ثلاثة قرون حيث خاض البشر المساحات العلمية وأصبح يكتشف قوانين الطبيعة

ليوسف كرم: ٣١٦/ ط دار القلم/ بيروت.

وصار يعرف ما هو الاقتصاد والصناعة والسياسة والمجتمع والأسرة، فلا حاجة لوحي يحلّل ويحرّم له، ولا يحتاج أن يقول له الوحي: إنَّ الربا حرام والبيع حلال، بل هو يدرس علم الاقتصاد ويرى هل في الربا ضرر أم فائدة، ولا حاجة في معرفة حكم الخمر إلى قول الوحي: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠)، بل يقوم الإنسان نفسه بدراسة المسألة ويرى هل أنَّ الخمر فيه فائدة أم لا؟ كما ليس من الضروري أن يكون لديك ارتباط بالله، بل هناك علم النفس والاجتماع الذي قد يغنيك عن الإيمان.

وهكذا لا يعود الدين _ وفقاً لهذه النظرية _ ضرورة في الحياة، وبهذا سيكون لدينا مجموعة نظريات حول الدين:

نظريات حول الدين:

النظرية الأولى: الدين ليس ضرورة في المجتمع المعاصر، بل العلم يقوم

مقامه، وأصبح القرآن وفقاً لهذه النظرية جزءاً من التراث الأدبي مثل قصص ألف ليلة وليلة، فإذا أردت قراءته فلكي تستمتع به، لقد دخلت هذه الأفكار في عالمنا الإسلامي وأصبحنا نجد من يروّج لهذه النظرة في أوساطنا.

النظرية الثانية: الدين حاجة أساسية للمجتمع لكن على أساس نفعي، لأنَّ الدين وحده هو القادر على إنزال السكينة على قلوب الناس، فالنفس لا تطمئنّ إذا لم ترتبط بالله أو أيّ مطلق يحقّق لك السكينة والاطمئنان، وحتّى نكسب هذا الاطمئنان فنحن بحاجة إلى الدين، وتسمّى هذه النظرية بالنظرية النفعية البرغماتية والتي طرحها الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس)، فنحن نتعامل مع الدين _ حسب هذه النظرية _ على أساس ما يحقّقه من مصلحة وليس على أساس ما يتمتّع به من قيمة عليمة.

النظرية الثالثة: الدين ضرورة

في المجتمع لقدرته على تطبيق القيم الأخلاقية، لأنَّ الدين وحده هو القادر على تحفيز الإنسان على الالتزام بتلك القيم، والشعور بالرقابة المستمرّة، وبدون الدين لا يمكن السيطرة على الواقع الأخلاقي للإنسان، هكذا قال رئيس الوزراء الهندي السابق (جواهر لالنهرو) وهو غير مؤمن بأيّ دين حين سألوه: ما هو تصوّرك عن المجتمع؟ وكيف يعيش سعيداً؟

قال: أعتقد أنَّ المجتمع لا يعيش سعيداً إلاَّ بالقيم المعنوية والأخلاقية، فنحن نحتاج إلى صدق وإيثار وإحسان ومساواة وعدالة وابتعاد عن الغش والسرقة وعن الارتماء في الدنيا، وإنَّ الإنسان بدون قيم أخلاقية لا يستطيع أن يعيش سعيداً.

وحين سألوه كيف نستطيع تفعيل هذه القيم الأخلاقية على الأرض؟

قال: أنا محتار في هذه المسألة لأنَّ غير الدين لا يستطيع أن يلزمك بالقيم

الأخلاقية، الدين وحده يقول لك: إنَّ الله هو الرقيب وأنَّ هناك جنّة ونار.

فالدين عندما يبشّر الإنسان بهذا المستقبل سيكون لديه وازع نحو الالتزام بالقيم الأخلاقية، أمّا إذا لم يكن لديه دين ولا إيمان بالله والآخرة فلن يلتزم بالقيم الأخلاقية! وعلى هذا الأساس يكون الدين ضرورة علمية مهما كانت القيمة العلمية للمعتقدات الدينية.

النظرية الرابعة: الدين ضرورة للمجتمع الإنساني في جانبه العقائدي وفي جانبه التشريعي أو في جانبه الأخلاقي، فالدين ليس فقط ضروري كاعتقاد، بل كقانون وشريعة حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، ويقول الحديث الشريف: «حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»[١]، وذلك يعني

(١) الكافي ١: ٥٨/ باب البدع والرأي

ضرورة الدين للبشرية، وأنَّ الإنسانية لا تستطيع أن تسعد إلاَّ بالدين.

لقد شرَّقت البشرية وغرَّبت وذهبت إلى الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية، ولكن لا بدَّ أن تعود إلى الدين وشريعة الله تبارك وتعالى وتستقي من نبعه.

عندما ضربت الأزمة الاقتصادية الولايات المتَّحدة الأمريكية قبل عامين طرد (٣٦٠) ألف عامل من عمله، وأوشكت الولايات المتَّحدة على الانهيار، حينها نشرت بعض الصحف: (إنَّ الأزمة الاقتصادية ضربتنا وأصبح البنك المركزي يعطي ملايين الدولارات للشركات الكبرى كي لا تعلن إفلاسها)، ويذكر التقرير أنَّه يدعو لمراجعة النظرية الإسلاميّة التي تحرّم الربا لتكون بديلاً عن الاقتصاد الرأسمالي، وفي تلك الأيّام خطب الرئيس الأمريكي السابق بوش وقال: إنَّنا لا يمكن أن

والمقاييس/ ح ١٩.

نشهد انهيار الرأسمالية بعد ستّين عاماً من عمرها، ولا بدَّ أن ندافع عنها ونصمد.

وهذا نموذج للإشارة إلى أنَّ الشريعة الإلهية هي وحدها القادرة على حلّ أزمة المجتمع الإنساني، ولا بدَّ من حاكمية دين الله تعالى.

متى يحكم الدين؟

سيسأل السائل: متى يحكم الدين؟ وهل لدى الدين القدرة على الحكم أم أنَّه حالة مثالية خيالية؟ الدين يريد أناساً من أمثال أبي ذر الغفاري والبشر ليسوا كذلك، فالدين قضيّة يسمّونها (طوباوية) أي خيالية ومثالية لا تنطبق على أرض الواقع! فالسؤال الآن: هل بعث الأنبياء لكي يُقتلوا ولا شيء بعدها؟ وهل المشكلة أنَّ الدين ليس لديه لياقة بأن يحكم البشرية؟

الجواب: إنَّ النظرية الإسلاميّة تقول: إنَّ الدين سيحكم البشرية ويملأ

الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، والمصلح العالمي هو إمام العصر (ع)، هذه رؤيتنا التي يقول فيها القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، فلا بدَّ أن يحكم أهل الدين يوماً ما.

مدَّة الحكومة العالمية العادلة:

ويأتي هنا سؤال وهو: كم سيحكم صاحب الزمان (ع)؟

جاء في بعض الروايات أنَّه يملك تسع عشرة سنة وأشهراً[١]، وفي روايات أخرى أنَّه يملك سبع سنين، تطول له الأيّام والليالي حتّى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين[٢]، وفي روايات أخرى أنَّه يملك ثلاثمائة وتسع سنين[٣].

وقد يقول القائل: إنَّ البشرية عاشت آلاف السنين من العذاب والآلام، والأنبياء كانوا مائة وأربعة وعشرين

---

(١) أنظر: الغيبة للنعماني: ٣٥٣/ باب ٢٦/ ح ١.

(٢) أنظر: الإرشاد ٢: ٣٨١.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ٢٦٣.

ألف نبيّ، فما قيمة أن يحكم الدين هذه المدَّة القليلة!؟

هنا بهذا الخصوص توجد رواية تقول: «عمر الدنيا مائة ألف سنة لسائر الناس عشرون ألف سنة وثمانون ألف سنة لآل محمّد (ع)»[١]، ومعنى هذا أنَّ حكومة الدين سوف تستغرق ثمانين ألف سنة.

والأئمّة الصالحون بعد إمام العصر (ع) هم مهدي بعد مهدي كما ورد عن أبي بصير، قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد H يا ابن رسول الله إنّي سمعت من أبيك (ع) أنَّه قال: «يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً»، فقال: «إنَّما قال: اثنا عشر مهدياً، ولم يقل: اثنا عشر إماماً، ولكنَّهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى مولاتنا ومعرفة حقّنا»[٢].

كما أنَّ هناك روايات الرجعة التي

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٢١٢؛ بحار الأنوار ٥٣: ١١٦/ ح ٢٢.
(٢) كمال الدين: ٣٥٨/ باب ٣٣/ ح ٥٦.

تقول: «أوّل من يرجع إلى الدنيا الحسين بن علي H فيملك حتَّى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر»[١].

الدين ليس مثالياً:

هناك نموذج آخر لحكومة الدين في العالم حيث حكم بعض الأنبياء وهم داود وسليمان أعظم حكومة وبشكل إعجازي، فكانت حكومتهم نبوّة زائداً ملكاً، بمستوى أنَّ الجنّ والحيوانات والرياح كانت مسخرة لهم، وربَّما كان الحكم الديني في هذا المقطع الزمني لكي يلفت الله سبحانه وتعالى نظر البشرية لإمكانية حكم الدين، رغم أنَّ هناك من يقول: إنَّ الدين لا يمكن أن يكون حاكماً لأنَّ الحكم والسياسة تحتاج إلى المكر والدهاء والحيلة والظلم، والدين بعيد عن ذلك، لكن القرآن عندما يحدّثنا عن وراثة سليمان لداود يريد أن يؤكّد أنَّ الدين قادر على أن يحكم، وهو واقعي وليس حالة مثالية، نعم هو يحتاج

(١) مختصر البصائر: ١٣٦/ ح ٤٤.

إلى أمّة تتحرَّك وتسعى وتجاهد، فالله تعالى شرط النصر بحضور الإنسان وفاعليّته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

هذا الموضوع يدعونا للحديث عن نظرية الدين في حياة الأمم والشعوب، وما هو الطريق لنجاحها وتحرّرها.

حياة الشعوب من خلال إرادة الإصلاح:

جاء في زيارة الإمام الحسين (ع): «أشْهَدُ أنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ، بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ، وَبِضِيَاءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطَّالِبُونَ إلَيْكَ، وَأشْهَدُ أنَّكَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُطْفَأ وَلا يُطْفَأ أبَداً، وَأنَّكَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَهْلِكْ وَلا يُهْلَكُ أبَداً، وَأشْهَدُ أنَّ هَذِهِ التُّرْبَةَ تُرْبَتُكَ، وَهَذَا الْحَرَمَ حَرَمُكَ، وَهَذَا الْمَصْرَعَ مَصْرَعُ بَدَنِكَ، لا ذَلِيلَ وَاللَّهِ مُعِزُّكَ، وَلا مَغْلُوبَ وَاللَّهِ نَاصِرُكَ، هَذِهِ شَهَادَةٌ لِي عِنْدَكَ إلَى يَوْمِ قَبْضِ رُوحِي بِحَضْرَتِكَ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[١].

هذا النصّ يحتاج إلى أكثر من وقفة وتفسير، «أشْهَدُ أنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ» تأكيد على أنَّ الحسين (ع) قد قُتل، كي لا يأتي أحد ويحرّف التاريخ ويُسدل الستار على مقتل الإمام الحسين (ع). كما أنَّ الحسين (ع) هو شهيد لكنَّه حيّ وليس بميّت، فهناك فرق بين أن يقتل الإنسان ويقطع رأسه لكنَّه حيّ غير ميّت، قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

ثمّ يطرح الإمام الصادق (ع) في هذه الزيارة (ع) موضوعاً أكثر إثارة ويقول: «بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ»، فهناك إشعاع من يمين العرش موجَّه لشيعة الحسين (ع)، والانجذاب الموجود بين الحسين وشيعته هو بفعل نور وجهه (ع)، وبعبارة أخرى: إنَّ شيعة الحسين أحياءٌ ثقةً بحياة الحسين، وجاءتهم الحياة من

(١) المصباح للكفعمي: ٤٩٨.

حياة الحسين (ع).

ثمّ يقول (ع): «وَبِضِيَاءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطَّالِبُونَ إِلَيْكَ»، نور وجه الحسين (ع) منذ شهادته وإلى الآن في الجنّة عن يمين العرش، وضياؤه ممتدّ إلى عالم الدنيا لكي ينير الطريق إلى شيعته (ع).

ثمّ يقول (ع): «وَأشْهَدُ أنَّكَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُطْفَأ وَلا يُطْفَأ أبَداً» مهما فعل الظالمون، قرأنا في التاريخ عن بني أميّة وبني العبّاس وأنَّهم ماذا فعلوا بزوّار الحسين (ع)، وربَّما قال قائل: إنَّ هذه مبالغات، ولكنّا رأينا في الحكم البعثي البائد في العراق ما هو أسوء من ذلك، فقد كان يحكم بالسجن المؤبَّد والإعدام على من يذهب مشياً لزيارة الحسين (ع).

ويقول (ع): «وَأنَّكَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَهْلِكْ وَلا يُهْلَكُ أبَداً»، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، فوجه الله لا يهلك، فالذي يذهب لزيارة الحسين (ع) فإنَّه

يزور نور الله تعالى. العالم اليوم يشهد المجالس الحسينية والمواكب الحسينية، وهذا هو وجه الله الذي لا يهلك ولن يهلك، هذه مفاهيم جاءت في زيارة الإمام الصادق للحسين H.

والآن لننتقل من هذا النصّ إلى مسألة حياة الشعوب.

بِمَ تتقوَّم حياة الأفراد وحياة الشعوب؟

يقول القرآن الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)، فَفي نظر الدين أنَّ الإيمان والطاعة لله وللرسول هو شرط الحياة وبعدمها فالإنسان ميّت على شكل بشر متحرّك.

يقول العلم بأنَّ الحياة في الموجودات المادّية تتميَّز بأربع صفات هي:

١ _ النمو، فكلّ الأحياء تنمو.

٢ _ استهلاك الطاقة، فالنبات والحيوان والإنسان يستهلك الطاقة.

٣ _ التناسل والتكاثر، فكلّ الكائنات الحيّة من النبات والحيوانات لديها تكاثر.

٤ _ الفضلات، فكلّ كائن حيّ مثلما يأخذ الطاقة ويأخذ الطعام لديه فضلات.

لكن هناك فرق بين الحياة الحيوانية وبين الحياة الإنسانية، وهذا ما يركّز عليه الدين، فالدين يقول: إنَّ الحياة الإنسانية هي غير حياة الحيوان والنبات، فالحياة الإنسانية تتقوَّم بالإيمان والعمل الصالح، والذي ليس لديه إيمان وعمل صالح فهو ميّت، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ﴾ (النمل: ٨٠)، فالكافرون هم أموات طالما أنَّهم لا يستمعون لمنطق الحقّ.

الحياة تحتاج إلى إيمان وعمل صالح، والحسين (ع) زرق فيدنا الإيمان والعمل الصالح، فحياتنا من حياة الحسين (ع)، فلو سُئل أحد منّا عن الحسين لقال: إنَّه ميّت ولكن القرآن الكريم يؤكّد أنَّ الحسين حيّ بقوله: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤)، فالقرآن يقول: إذا سُئلتم عن شهداء بدر وأُحُد وشهداء طريق

الحسين قولوا: هم أحياء، بل الشهيد حيّ في عالم البرزخ، بل إنَّ للشهداء أثراً وحضوراً في عالم الدنيا أيضاً، فإنَّه موجود ولكنَّنا لا نراه. فالشهداء أحياء يتفاعلون معنا، كما جاء في زيارة أمير المؤمنين (ع): «أشْهَدُ أنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي»[1]، فحياة الحسين والشهداء فاعلة على الأرض التي يقول عنها الإمام الصادق (ع): «بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ».

الحسين (ع) ليس أحيا الإسلام فحسب، بل قلوب شيعة الحسين متَّصلة بحياته، فالشيعة لديهم حياة غير موجودة لدى الآخرين.

إذن الحياة في الفهم الديني هي الحياة الإنسانية، ولهذا يقول القرآن الكريم عن الكافر: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى * يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي﴾ (الفجر: ٢٣ و٢٤)، أي يقول الكافر: إنّي كنت ميّتاً في الدنيا، وهذه الآخرة هي

(١) المزار لابن المشهدي: ٢١١.

وحدها حياتي الحقيقية.

كيف تكون الشعوب حيّة؟

هناك عدَّة نظريات فلسفية قديمة ومعاصرة:

النظرية الأولى: إنَّ حياة الشعوب هي من خلال إرادة القوَّة، وهذه النظرية هي التي ذهب إليها الفيلسوف الألماني (نيتشه).

النظرية الثانية: إنَّ الحياة هي من خلال إرادة اللاإرادة أن تفكّر بيومك ولا تفكّر بغدك وأن تترك الطموحات المستقبلية لكي تكون حيّاً، وهذه النظرية ذهب إليها بعض الفلاسفة الذين يسمّون بـ (الوجوديين) مثل: (هايدجر، سارتر)، وغيرهم.

النظرية الثالثة: نظرية الانتخاب الطبيعي عبر ملايين السنين، تقول هذه النظرية: إنَّ الطبيعة هي التي تنتخب الحياة وتطوّرها، فالحمامة تصبح صقراً، والسمكة تصبح حوتاً، وهكذا

أصبح الإنسان وتطوَّر، وهو يتطوَّر في المستقبل بنفس هذا المنهج ولا علاقة لإرادته بالموضوع.

نظرية الإسلام: يقول الإسلام: إنَّ الحياة الحقيقية للإنسان هي من خلال إرادة الصلاح، قال الإمام الحسين (ع): «إنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (ص)»[١]، فإذا أردتم أن تكونوا أمّة حيّة فلا بدَّ أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر.

مقوّمات الأمّة الحيّة:

هناك ثلاثة مقوّمات للأمّة الحيّة: الإرادة، والوعي، والإيمان، وهذه المقومات الثلاثة هي التي رسَّخها الإمام الحسين (ع)، وتعلَّم منها قادة العالم، هذا (ماهاتما غاندي) أراد أن يحرّر الهند من استعمار بريطانيا ولم يكن لديه إلاَّ الإرادة الواعية، كان يجعل الحسين أسوةً له.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

فلا يتصوَّر الإنسان أنَّ الاقتصاد هو الذي يصنع الشعوب، ففي هذا العصر توجد دول قائمة ثرواتها على الاقتصاد ولكن لم تستطع السيطرة على العالم، بينما اليابان مع صغرها وعدم امتلاكها الاقتصاد غزت العالم بالإرادة الواعية.

وهذا هو الذي قاتل من أجله الإمام الحسين (ع)، من أجل أن تمتلك الأمّة إرادتها ووعيها.

وهذه هي نظرية الإسلام في حياة الشعوب، والإمام الحسين (ع) جسّد هذه النظرية وحمل لوائها، ولهذا حوَّل الإمام الحسين (ع) الحادثة التي جرت قبل قرون إلى شعارات تسير على الأرض ومفاهيم تسيّر العالم الإسلامي، فقد قال (ع): «هيهاتَ منّا الذلّة»[1]، وقال (ع): «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به،

(١) مثير الأحزان: ٤٠.

وإلى الباطل لا يتناهى عنه»[١].

فقد حوَّل الإمام الحسين (ع) مفاهيم القرآن الكريم إلى كلمتين تحفظها قلوب البشرية، فقد قال (ع): «لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد»[٢].

هذه هي النظرية الدينية في الحياة، نظرية الإرادة الواعية والانتخاب الإرادي.

القرآن والسُنّة مصادر الوعي في الأمّة:

وحينما يصل البحث لموضوع إرادة الأمم ووعيها فإنَّ الفكر الديني يؤكّد أنَّ القرآن الكريم والسُنّة النبوية هي من أهمّ مصادر الإلهام الثقافي والسياسي للأمّة.

ولقد سبق أن تحدَّثنا عن دفاع الحسين (ع) عن القرآن الكريم، ولنقرأ الآن صورة عن دفاعه عن السُنّة النبوية الشريفة.

---

(١) مثير الأحزان: ٣١.
(٢) الإرشاد ٢: ٩٨.

نحن نعتقد أنَّ مصدر التشريع بعد القرآن الكريم هو السُنّة النبويّة وأهل البيت (ع) هم امتداد للسُنّة النبويّة، والسُنّة هي أقوال وأفعال وإمضاءات النبيّ (ص)، والقرآن الكريم يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وكلّ ما صدر من النبيّ (ص) من قول أو عمل على سبيل التشريع نحن نلتزم بمدلوله.

الإمام الحسين (ع) كان يدافع عن القرآن كما يدافع عن السُنّة.

السُنّة النبوية تعرَّضت إلى مخاطر:

لقد تعرَّضت السُنّة إلى عدَّة مخاطر:

أوّلاً: المنع من تدوين السُنّة، فقد صدر بعد رسول الله (ص) مباشرة قرار من الخلافة الحاكمة بالمنع من رواية حديث النبيّ (ص) حتَّى أنَّ عدداً من الصحابة مُنعوا من ذلك منهم ابن عبّاس وأبو هريرة، وكان سبب هذا المنع من وجهة نظر عمر بن الخطّاب هو الخوف من اختلاط كلام النبيّ

(ص) بكلام الله تعالى، واستمرَّ هذا المنع إلى أوّل القرن الثاني إلى أيّام حكومة عمر بن عبد العزيز، وفي مقابل هذا المنع كان علي (ع) والأئمّة الأطهار من بعده هم المدافعون عن السُنّة والمطالبين بتدوينها والحافظين لها.

ثانياً: مخالفة سُنّة النبيّ (ص) لاعتبار أنَّ النبيّ غير معصوم، وأنَّ الخليفة يستطيع أن يجتهد في الموقف الشرعي كما كان النبيّ يجتهد!

العلاَّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين وهو من كبار علماء الشيعة له كتاب اسمه (النصّ والاجتهاد) يذكر فيه مئة مورد لمخالفة الأصحاب للسُنّة النبوية الشريفة، والمشكلة الخطرة ليست هي في أصل المخالفة، بل التشريع لهذه المخالفة واعتبار ذلك من حقّ الخليفة ومن حقّ أيّ مجتهد آخر، وكان هذا أعظم خطراً على الإسلام.

ثالثاً: التحريف والدسّ واصطناع أحاديث مكذوبة على رسول الله (ص)، يقول

أمير المؤمنين (ع): «وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1]، وهنا جاء المرسوم الملكي الصادر من معاوية بن أبي سفيان يطلب من الرواة والمحدّثين وضع الحديث عن فضائل الخلفاء الثلاثة والمنع من نقل الأحاديث الصحيحة في فضل علي (ع)، فكثرت الأحاديث الموضوعة على رسول الله (ص).

هذه هي أهمّ المخاطر التي تعرَّضت لها السُنّة الشريفة.

لقد كانت ثورة الإمام الحسين (ع) بهدف الدفاع عن السُنّة، لذا نلاحظ عندما كتب الإمام الحسين (ع) إلى رؤساء الأخماس في البصرة رسالة يدعوهم فيها للثورة ضدّ يزيد، قال لهم: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة

(١) نهج البلاغة ٢: ١٨٨ و١٨٩/ ح ٢١٠.

نبيّه (ص) فإنَّ السُنّة قد أُميتت»[١].

قصَّة سيّد علي الدرويش:

يذكر أنَّه كان في النجف سوباط وزقاق مسقوف يسمّى بـ (طاق سيّد علي درويش) وفيه يسكن رجل فقير من الدراويش واسمه سيّد علي، وكان يؤذي الناس بكلامه اللاذع، فيبتعد عنه الناس ويتجنَّبون الاقتراب منه، وبالأخصّ العلماء وطلاّب الحوزة العلمية فإنَّهم لا يفضّلون المرور من ذلك المكان وذلك لتجنّب شرّ هذا الدرويش وأذاه.

ويوماً مرَّ أحد خطباء ووعّاظ النجف المشهورين بشكل غير مقصود من ذلك المكان حيث ساقته رجله بسبب استعجاله في الوصول إلى أحد مجالسه والتي كانت مزدحمة في تلك الأيّام أيّام العشرة الأولى من شهر محرَّم الحرام، وكانت ساعة مروره من ذلك المكان هو ليلة العاشر من محرَّم، حيث كان يحث الخطى ليصل إلى مجلسه،

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٢٥.

فاعترضه سيّد علي الدرويش في الطريق وقال له: أين أنت ذاهب بهذه السرعة؟

قال: عندي مجلس، وأُريد أن أصل على عجل.

فقال له الدرويش: تعالَ إلى هنا واقرأ لي مجلساً مختصراً، اذكر لي فيه مصيبة الإمام الحسين (ع).

قال الخطيب: فقلت له: سيّد علي اسمح لي أن أصل إلى مجلسي فقد تأخَّرت، لا تمزح ولا تؤذي الناس.

فقال لي: إنَّني جادّ في الأمر ولا أمزح معك ولا أُريد أن أُؤذيك، أُريد منك أن تقرأ لي تعزية تذكر فيها مصيبة الإمام الحسين (ع).

فقلت له: لمن أقرأ التعزية؟ لا يوجد شخص يسمع.

فقال لي: اقرأ لي، ألست إنساناً؟ ألست مسلماً؟ ألست شيعياً؟

فقلت له: بلى، ولكن نحن الخطباء لا نقرأ بدون منبر.

وفجأة أخذ علي هيأة المنبر بأن سجد على الأرض متّكئاً على يديه ورجليه بشكل صارت يداه ورجلاه أشبه بقوائم المنبر، وقال لي: اجلس على هذا المنبر، واقرأ لي تعزية.

فقال الخطيب: لقد كنت على عجل وأُريد أن أخلص من هذا الدرويش فآثرت الجلوس وأن أذكر له الإمام الحسين كي أتخلَّص منه وأصل إلى مجالسي، فجلست على ظهره وقلت: (السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا مظلوم يا حسين)، عندها سمعت صوت سيّد علي الدرويش وقد أجهش بالبكاء وارتفع صوته بالنحيب والعويل، وبعد قراءة مختصرة عن مصيبة الإمام الحسين (ع) استأذنته وودَّعته وذهبت مسرعاً.

وبعد ثلاثة أيّام من عاشوراء رأيت أحد الفضلاء فأخبرني بوفاة السيّد علي الدرويش، فقلت له: الحمد لله الذي خلَّص الناس من شرّه.

فقال لي: لقد رأيت في المنام أنَّ ذنوبه قد غفرت.

فقلت له: كيف؟

فقال: رأيت في المنام أنَّني دخلت صحن أمير المؤمنين (ع) وقد وقف الإمام هناك في الإيوان، وفي الأثناء جاؤوا بجثّة سيّد علي الدرويش يريدون دفنها في الصحن، فلم يأذن لهم الإمام علي (ع)، وهمّوا بإخراجها وفجأة رأيت الإمام الحسين (ع) وقد دخل الصحن على عجل ووقف أمام الإيوان بالقرب من أبيه (ع) وقال: «أبتي اسمح بدفن هذه الجثّة هنا».

فقال أمير المؤمنين (ع): «أي بني يجب أن لا تدفن هذه الجثّة هنا».

عندها رأيت الإمام الحسين (ع) تقدَّم خطوة بالقرب من أبيه وقال: «يا أبتي، هل يجوز حرق منبري؟».

فرأيت الإمام علي (ع) وقد انحدر الدمع من مقلتيه وقال: «لا يا ولدي لا يجوز حرق منبرك».

فأمر علي (ع) بإرجاع جثّة السيّد علي الدرويش، وأنا لم أفهم موضوع المنبر ماذا يعني به الإمام الحسين

(ع).

وسألت: من يكون هذا؟

فقالوا لي: سيّد علي الدرويش.

فبكى الخطيب لمَّا سمع قصَّة هذا المنام بكاءً شديداً، وقال لي: إنَّ رؤياك صحيحة وموضوع المنبر صحيح أيضاً، إنَّ هذا الدرويش صار لي مذبراً ليلة العاشر من محرَّم، جلست عليه وذكرت مصيبة الإمام أبي عبد الله الحسين (ع)[1].

تلك هي صورة من شفاعة الحسين (ع) لأتباعه ومحبّيه، فالحسين (ع) هو سفينة النجاة لشيعته.

سؤال عن حديث: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»:

لننقل أوّلاً أصل الحديث:

روي عن أبي عبد الله الحسين (ع) أنَّه قال: «أتيت يوماً جدّي رسول الله (ص)، فرأيت أُبي بن كعب جالساً عنده،

---

(١) أنظر: القصص العرفانية لرضا محمّد حدرج: ١٨٦ - ١٨٩.

فقال جدّي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض! فقال أُبي: يا رسول الله! وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبيّ (ص): يا أُبي بن كعب، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، إنَّ الحسين بن علي في السماوات أعظم ممَّا هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش، إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة...»[1].

هذا الحديث فيه جملة يجب الوقوف عندها، وهي: «اسمه مكتوب عن يمين العرش»، فما هو المقصود بهذه الجملة؟

ولتوضيح الجواب عن هذا السؤال نقول:

إنَّ فكرة الكتابة عن يمين أو ساق العرش موجودة لدى أحاديث وصحاح السُنّة والشيعة على حدّ سواء كما سنشرح ذلك، مضافاً إلى ذلك فإنَّ القرآن الكريم يقول:

---

(١) مدينة المعاجز ٤: ٥١ و٥٢/ ح (١٣٣/١٠٨٠).

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)، وهنا يقول المفسّرون في تفسير هذه الكلمات أنَّ هناك عدَّة آراء أحدها أنَّ آدم نظر فرأى مكتوباً على ساق العرش: (محمّد رسول الله)[١] طبعاً هكذا جاء في روايات أهل السُنّة، لكن روايات الشيعة تضيف: علياً والحسن والحسين وفاطمة[٢]، فلمّا رأى ذلك آدم تشفَّع بهذه الكلمات فتاب الله عليه[٣].

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي ١: ٣٢٤؛ تفسير البحر المحيط ١: ٣١٨؛ تفسير الثعالبي ١: ٢٢٣.

(٢) راجع: عيون أخبار الرضا (ع) ٢: ٢٧٤/ ح ٦٧.

(٣) قال رسول الله (ص): «... إنَّ أبي آدم لمَّا رأى اسمي واسم أخي واسم فاطمة والحسن والحسين مكتوبين على سرادق العرش بالنور، قال: إلهي هل خلقت خلقاً قبلي هو أكرم إليك منّي؟ قال: يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا ملكاً مقرَّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، لولاهم ما خلقتك، فلمّا عصى آدم ربّه سأله بحقّنا أن يتقبَّل توبته ويغفر خطيئته، فقال: إلهي وسيّدي ومولاي بحقّهم عليك إلاَّ غفرت لي خطيئتي...». (الروضة في فضائل أمير المؤمنين(ع) لشاذان بن جبرئيل القمي: ١١١/ ح ٩٩).

لاحظوا مثلاً المفسّر الكبير الآلوسي في تفسيره (روح المعاني)[١] وهو من كبار علماء أهل السُنّة والجماعة يقول: (وإذا أطلقت الكلمة على عيسى (ع)، فلتطلق الكلمات على الروح الأعظم والحبيب الأكرم -، فما عيسى، بل وما موسى، بل وما... وما... إلاّ بعض من ظهور أنواره، وزهرة من رياض أنواره)، فإذا كان عيسى (ع) كلمة الله فلا مشكلة في أن يكون رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) كلمات الله.

يروي ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)[٢]: عن أنس، قال: قال رسول الله -: «مكتوب على ساق العرش لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله ووزيراه أبو بكر الصدّيق وعمر الفاروق»، نحن لا نريد هنا مناقشة هذا الحديث، بل نريد التأكيد عن أنَّ أصل الفكرة موجودة في التراث السُنّي كما موجودة في التراث

(١) تفسير روح المعاني ١: ٢٣٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٤: ٥٠/ ح ٩٤٣٨.

الشيعي.

ولدينا حديث آخر مهمّ من مصادر أهل السُنّة يقول: عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله -: «الحسن والحسين شنفا _ قرطا _ العرش»[١].

ومهما يكن المعنى المقصود بالعرش، إن كان كناية عن القدرة الإلهية، أو وجود حقيقي عظيم كما يميل لذلك العلاَّمة الطباطبائي في تفسيره إلاَّ أنَّ مسألة الكتابة على ساق العرش أو قرطا العرش هي مسألة واردة في صحاح أحاديث السُنّة والشيعة، وحينئذٍ سوف يكون من المفهوم جدَّاً معنى أنَّ اسم الحسين (ع) مكتوب عن يمين العرش.

وربَّما يكون أحد مداليل هذا

---

(١) رواه المناوي في فيض القدير ٣: ٥٥١/ ح ٣٨٢٤؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٤؛ والسيوطي في الجامع الصغير ١: ٥٩٠/ ح ٣٨٢٤؛ والمتّقي الهندي في كنز العمّال ١٢: ١١٥/ ح ٣٤٢٦٢، وفيه: (سيفا العرش) بدل (شنفا العرش).

الحديث أنَّ قضيّة الحسين (ع) ليست قضيّة مقطعية، بل هي قضيّة أزلية أبدية، فالحسين مكتوب على ساق العرش وهو ركيزة القدرة الإلهية الأزلية الأبدية. فلا يمكن أن نختزل قضيّة الحسين (ع) بسنوات قليلة.

شكوك حول حركة الإمام الحسين(ع):

رغم وضوح الدور العظيم لثورة الحسين (ع) إلاَّ أنَّنا نجد ابن تيمية يقول: (ولم يكن في الخروج _ أي خروج الحسين (ع) _ لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ص) حتَّى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإنَّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل منه شيء بل زاد الشرّ بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار ذلك سبباً لشرّ عظيم)[1]، هل يصحّ هذا الكلام مع من هو (مصباح الهدى)؟ وهل يستطيع ابن

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣١٦ و٣١٧.

تيمية أن يقيّم حركة الإمام الحسين (ع) أكثر من الحسين نفسه أو أكثر من جدّه رسول الله (ص)؟ نعم هكذا سوَّلت لهم أنفسهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم.

والحقيقة أنَّ أهل البيت (ع) عندما أكَّدوا على قضيّة «إنَّ الحسين مصباح الهدى» لأنَّهم يعرفون أنَّ هناك من سيأتي ويشكّك بالقضيّة الحسينية بطرق التشكيك المتعدّدة.

شهادة مسلم بن عقيل (ع):

نحاول هذه الليلة كما هو المتعارف في مجالس الذكر الحسيني أن نتناول قصَّة مسلم بن عقيل (ع).

الشهداء في القضيّة الحسينية ثلاثة أنواع:

١ _ شهداء قبل شهادة الحسين (ع).

٢ _ شهداء بعد شهادة الحسين (ع).

٣ _ شهداء مع الحسين (ع).

الذين قتلوا مع الحسين (ع) في

كربلاء معروفون، والذين قتلوا بعد كربلاء مثل عبد الله بن عفيف الذي استشهد بعد دخول رأس الحسين (ع) إلى قصر ابن زياد في الكوفة، وهناك من الشهداء من استشهد قبل واقعة كربلاء، وكان على رأسهم سيّدنا مسلم بن عقيل، فهو أوّل شهيد في قافلة الشهداء في القضيّة الحسينية.

هناك نقاط شبه بين قصَّة مسلم وقصَّة الحسين (ع) في الشهادة:

النقطة الأولى: الغربة، فإنَّ الحسين غريب ومسلم غريب حينما وقف على باب طوعة يقول لها: يا أمَة الله اسقيني ماءً، فسقته وجلس على الباب لا ينصرف فخرجت إليه وقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت ثمّ أعادت مثل ذلك، فسكت، ثمّ قالت له في الثالثة: سبحان الله! يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك فإنَّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحلّه لك. فقام وقال: يا أمَة

الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، لعلّي مكافئك بعد اليوم؟ فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذَّبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني...[١].

النقطة الثانية: العطش، فإنَّ الحسين عطشان ومسلم كذلك مات عطشاناً، بعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقُلَّة عليها منديل وقدح، فصبَّ فيه ماءً، فقال له _ أي مسلم _: اشرب، فأخذ مسلم كلَّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرَّة ومرَّتين، فلمَّا أراد في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم شربته[٢].

النقطة الثالثة: قطع الرأس، الحسين (ع) قطيع الرأس، كذلك مسلم لمَّا صعدوا به إلى أعلى القصر ضربه ذاك العبد الأسود بسيفه فقطع رأسه

---

(١) أنظر: الإرشاد ٢: ٥٤ و٥٥.
(٢) أنظر: الإرشاد ٢: ٦٠ و٦١.

وبقي مسلم جثّة بلا رأس[١].

النقطة الرابعة: تكسّر الأضلاع، نادى المنادي على الحسين (ع): «هلمّوا ودوسوا صدر الحسين»[٢] فقد تكسَّرت أضلاعه، ومسلم كذلك لمَّا رُمي به من أعلى القصر تكسَّرت أضلاعه.

النقطة الخامسة: البكاء، فرغم أنَّ مسلم بن عقيل قائد ميداني لكن البكاء له موقعه في نفوس هؤلاء الأزكياء، وقد بكى على الحسين (ع). فلمَّا سلبوا عنه سيفه فلم يبقَ يملك من نفسه شيئاً، فبكى عند ذلك وعرف أنَّه مقتول، فيئس من نفسه، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فقال بعض من حوله: إنَّ من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا. فقال: أمَا والله لست أبكي على نفسي ولكن أبكي على الحسين، وآل الحسين[٣].

---

(١) الإرشاد ٢: ٦٣.
(٢) شجرة طوبى ٢: ٢٨٦.
(٣) أنظر: البداية والنهاية ٨ : ١٦٧.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الخامسة:

إنسانية المعركة الحسينية

- الحسين (ع) وسيلة إلى الله ما دام الدهر.
- لماذا الوسيلة إلى الله تعالى؟
- إنسانية المعركة الحسينية.
- الدين الإلهي أم الدين الإنساني؟
- شبهة حول البكاء ومجالس العزاء.
- ما هو دليلنا على الارتباط بأهل البيت (ع)؟
- قصَّة السيّد كاظم القزويني.
- ما هي قصَّة السيّد بحر العلوم؟

- مبرّرات لكرامة الأنبياء والأولياء (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين (ع) وسيلة إلى الله ما دام الدهر:

لنبدأ حديثنا بالرواية التاريخية عن الإمام السجّاد (ع): «... إنَّه لمَّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا، وقتل أبي (ع)، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتدّ لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنت ذلك منّي عمَّتي زينب بنت على الكبرى.

فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع، وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي

وأهلي مصرَّعين بدمائهم مرمَّلين بالعراء، مسلَّبين لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنَّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنَّك ما ترى فوَالله إنَّ ذلك لعهد من رسول الله (ص) إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنَّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة ويندبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء (ع) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنَّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاَّ ظهوراً وأمره إلاَّ علوّاً»[١].

أمام هذا النصّ الرائع من الحقّ أن نتساءل: ما هي فلسفة هذا الخلود

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٥٧.

الحسيني؟

ولماذا «فلا يزداد أثره إلاَّ ظهوراً وأمره إلاَّ علوّاً»؟

ألا يعني ذلك أنَّ الحسين (ع) سيبقى مشعلاً لهداية البشرية نحو الله ما دام الدهر؟

ألا يعني ذلك أنَّ الحسين (ع) سيبقى هو الوسيلة إلى الله ما دام الدهر؟

لماذا الوسيلة إلى الله تعالى؟

يقول القرآن الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)، فهذه ثلاثة أمور مطلوبة: تقوى الله، والجهاد في سبيله، وابتغاء الوسيلة إليه، وهي وسيلة توصلنا إلى الله تبارك وتعالى حيث بدون هذه الوسيلة لا نستطيع الوصول إليه تعالى. وهذه الأمور هي سبب الفلاح التي أشارت إليه الآية بالقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ومن ناحية ثانية فإنَّ (الوسيلة) هي درجة رسول الله (ص) في الجنّة، فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (ص):

«إذا سألتم الله ﷻ فاسألوه لي الوسيلة»، فسألت النبيّ (ص) عن الوسيلة، فقال: «هي درجتي في الجنّة...».

ثمّ قال (ص): «فيؤتى بها يوم القيامة حتّى تنصب مع درجة النبيّين، فهي في درج النبيّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته، فيأتي النداء من عند الله ﷻ يسمع النبيّين وجميع الخلق: هذه درجة محمّد. فأقبل وأنا يومئذٍ متّزر بريطة من نور، على تاج الملك وإكليل الكرامة، وعلي ابن أبي طالب أمامي، وبيده لوائي، وهو لواء الحمد، مكتوب عليه: لا إله إلاّ الله، المفلحون هم الفائزون بالله. وإذا مررنا بالنبيّين قالوا: هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرَهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيّان مرسلان، حتّى أعلو الدرجة وعلي يتبعني، حتّى إذا صرت في أعلى درجة منها، وعلي أسفل منّي بدرجة، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صدّيق ولا

شهيد إلاّ قال: طوبى لهذين العبدين، ما أكرمهما على الله! فيأتي النداء من قبل الله ﷻ، يسمع النبيّين والصدّيقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمّد، وهذا وليّي علي، طوبى لمن أحبَّه ، وويل لمن أبغضه وكذب عليه».

ثمّ قال رسول الله (ص): «فلا يبقى يومئذٍ أحد أحبَّك _ يا علي _ إلاّ استروح إلى هذا الكلام، وابيضَّ وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممَّن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً إلاّ اسودَّ وجهه واضطربت قدماه.

فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليَّ، أمّا أحدهما فرضوان خازن الجنّة، وأمّا الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد. فأقول: السلام عليك أيّها الملك، من أنت؟ فما أحسن وجهك وأطيب ريحك! فيقول: أنا رضوان خازن الجنّة، وهذه مفاتيح الجنّة، بعث بها إليك ربّ العزّة، فخذها يا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما

فضّلني به، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب.

ثمّ يرجع رضوان، فيدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد. فأقول: السلام عليك أيّها الملك من أنت؟ فما أقبح وجهك، وأنكر رؤيتك! فيقول: أنا مالك خازن النار، وهذه مقاليد النار، بعث بها إليك ربّ العزّة، فخذها يا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضّلني به، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب.

ثمّ يرجع مالك، فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار حتّى يقف على عجزة جهنَّم وقد تطاير شررها، وعلا زفيرها، واشتدَّ حرّها، وعلي آخذ بزمامها، فتقول له جهنَّم: جزني يا علي، فقد أطفأ نورك لهبي. فيقول لها علي: قري يا جهنَّم، وخذي هذا، واتركي هذا، خذي هذا عدوّي، واتركي هذا وليّي، فلجهنَّم يومئذٍ أشدُّ مطاوعةً لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء

يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة، ولجهنَّم يومئذٍ أشدُّ مطاوعةً لعلي فيما يأمرها به من جميع الخلائق»[١].

هذه لمحة عن درجة الوسيلة، وقد آثرنا أن نقرأ هذه الرواية بكاملها لما فيها من مطالب جميلة.

ومهما يكن القول في ذلك فإنَّ (الوسيلة) تبقى في معناها اللغوي والقرآني هي واسطة الطريق إلى الله تعالى، ويبدو من النصّ القرآني أنَّه لا بدَّ من اتّخاذ الوسيلة في الوصول إلى الله تعالى.

السؤال:

هل يمكن أن نصل إلى الله تعالى مباشرةً أو نحن بحاجة إلى وسيلة؟

الدين يقول: إنَّ من الممكن أن تعرف الله تعالى من خلال العقل وبشكل مباشر، ولكن أن تصل إلى الله تعالى وتربح رضوانه وأن ترضي ربّك فإنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من خلال الأنبياء الذين بعثهم الله

(١) أمالي الصدوق: ١٧٨ و١٧٩/ ح (٤/١٨٠).

رسلاً إلى خلقه وجعلهم واسطة بينه وبين عباده. لولا وجود الأنبياء لمَا علمنا الصلاة والصوم والزكاة والحجّ وصلة الرحم وبرّ الوالدين والعمل الصالح فكلّها أسباب للاقتراب من الله تعالى وتحصيل رضوانه.

هذه المرتبة وهي مرتبة الوسيلة بين الخالق والمخلوق هي مرتبة للأنبياء ولمن يقوم مقام الأنبياء وهم الأوصياء، لذا نقرأ في زيارتهم (ع): «أنْتُمُ السَّبِيلُ الأعْظَمُ وَالصّرَاطُ الأقْوَمُ»، «بِكُمْ يُسْلَكُ إلَى الرَّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَن»، «مَنْ أرَادَ اللَّهَ بَدَأ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ»[١].

كما نقرأ في الدعاء المعروف بدعاء الندبة: «فَبَعْضٌ أسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ إلَى أنْ أخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلاً وَسَألَكَ لِسَانَ صِدْقٍ

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ١: ٣٠٥ - ٣١٠/ باب ٦٨/ ح ١.

فِي الآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيّاً، وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيماً وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءاً وَوَزِيراً، وَبَعْضٌ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَآتَيْتَهُ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...، إِلَى أَنِ انْتَهَيْتَ بِالأَمْرِ إِلَى حَبِيبِكَ وَنَجِيبِكَ مُحَمَّدٍ (ص)...، **فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إِلَى رِضْوَانِكَ**»[1].

يقول الإمام الصادق (ع): «ما أحد من الأوّلين والآخرين إلاّ وهو يحتاج إلى شفاعة محمّد (ص) يوم القيامة»[2].

إذن النظرية الدينية تقول: لا بدَّ من وسيلة إلى الله تعالى وأهل البيت (ع) نصَّبهم الله تعالى وسيلة إليه.

هناك آيتان في القرآن الكريم واحدة تقول: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ (الشورى: ٢٣)، والتي يذكر علماء السُنّة والشيعة أنَّ المقصود بها مودَّة أهل البيت (ع).

والثانية تقول: ﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ

(١) أنظر: المزار لابن المشهدي: ٥٧٤ - ٥٧٦.
(٢) المحاسن للبرقي ١: ١٨٤/ باب ٤٤/ ح ١٨٦.

﴿يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٥٧)، وبجمع مدلول هاتين الآيتين تكون النتيجة واضحة وهي أنَّ مودَّة أهل البيت (ع) هي السبيل إلى الله تعالى، فالأجر في الآية الأولى هو المودَّة في القربى، والسبيل إلى الله هو الأجر في الآية الثانية.

الحسين (ع) وسيلة لكلّ الإنسانية:

وحينما يكون الحسين (ع) وسيلة فإنَّه وسيلة مفتوحة لكلّ الإنسانية، وسفينة مشرعة لمن أراد أن يركبها، وسوف يبقى الحسين (ع) مشعلاً هادياً ومصباحاً منيراً لكلّ البشرية، لأنَّ معركته كانت من أجل البشرية كلّها، ومن أجل القيم الإنسانية دون أن تقتصر على مجموعة معيَّنة أو قومية محدودة.

فرغم أنَّ الحسين (ع) قاتل من أجل الإسلام، ومن أجل مذهب أهل البيت (ع)، ولكن الحسين (ع) قاتل من أجل كلّ الإنسانية وقيمها، ولهذا فإنَّ معركته كانت معركة إنسانية شاملة ضدّ

اللاإنسانية، ومعركة الوجدان ضدّ من لا يملكون وجداناً.

نلاحظ مثلاً أنَّ الحسين (ع) اشترك معه الرجل والمرأة والكبير والشاب والطفل الصغير وقارئ القرآن والنصراني الذي دخل الإسلام قريباً وشيوخ الكوفة مثل الحرّ الرياحي وحبيب بن مظاهر والعبيد الغلمان، كلّ هذه المستويات شاركت مع الإمام الحسين (ع)، وشارك معه من كانوا من شيعته ومن ليسوا من شيعته مثل زهير بن القين الذي كان عثماني الهوى.

قضيّة الحسين (ع) هي قضيّة إنسانية، لقد كان (جون) عبداً أسوداً وكان يقول يوم عاشوراء للحسين (ع): «إنَّ ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود فتنفَّس عليَّ بالجنّة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيضّ وجهي»[1]، فالمسألة إذن هي فوق العشائريات التي يحاول البعض طرحها على أنَّها معركة بني

(١) مثير الأحزان: ٤٧.

هاشم وبني أميّة[١]، نعم هي ليست معركة قبلية، وليست معركة قومية، بل هي معركة إنسانية، والمعاني والمبادئ التي طرحها ونادى بها الإمام الحسين (ع) في كربلاء هي معانٍ ومبادئ إنسانية للمسلمين وغير المسلمين، ولذا كان الحسين (ع) يوم عاشوراء يخاطبهم بهذا الاتّجاه ويقول: «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»[٢]، فها هو الحسين (ع) يؤكّد على البعد الإنساني في حركته وليس البعد الديني وحده.

يقول الشاعر:

لم أنسهُ إذ قام فإذا هم لا يملكون
يدعو ألست أنا وملاذكم إن صرف
هل جئت في دين أم كنت في أحكامه

(١) راجع: ثورة الإمام الحسين (ع) في المصنّفات المصرية لهادي التميمي: ٢٥٣.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٧١.

أم لم يوص بنا الثقلين فيكم
إن لم تدينوا أحسابكم إن كنتم
فغدوا حيارى لا إلاَّ الأسنة والسهام

الدين الإلهي أم الدين الإنساني؟

وهذا الأمر يفتح لنا باباً إلى قضيّة معاصرة مطروحة اليوم في العالم الغربي وهي مشروع (الدين الإنساني) بمعنى الدين الذي يختاره ويضعه الإنسان ولا يُفرض عليه من السماء، الدين الإنساني مقابل الدين الإلهي، هذا هو ما يطرحه الفكر الغربي اليوم، مؤكّداً أنَّ الإنسان لم يعد بحاجة إلى الأديان الإلهية عبر النبوّات، بل الإنسان قادر على أن يضع لنفسه ديناً وفقاً للقيم الإنسانية المشتركة، وهذا هو ما يسمّى بالدين الإنساني أو الدين الوضعي.

لكن الحقيقة هي أنَّ الإنسانية بلا دين إلهي نفسها التي ألقت قنبلة

---

(١) ديوان السيّد رضا الهندي: ٤٢.

ذرّية على (هيروشيما)، وأنَّ الإنسانية بلا دين إلهي لم تصل ولن تصل يوماً ما إلى حالة من الوفاق على قيم أخلاقية مشتركة، وهذا هو الواقع الذي تؤكّده التجربة البشرية المُرَّة.

شبهة حول البكاء ومجالس العزاء:

يذكرها (محمّد بن عبد الوهّاب) في كتابه (الردّ على الرافضة)[1]، يقول:

اعلم وفَّقني الله وإيّاك أنَّ ما أُصيب به الحسين ± من الشهادة في يوم عاشوراء إنَّما كان كرامة من الله ﷻ أكرمه بها ومزيد خطوة ورفع درجة عند ربّه وإلحاقاً له بدرجات أهل بيته الطاهرين وليهين من ظلمه واعتدى عليه، وقد قال النبيّ - لمَّا سُئل أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثمّ الصالحون، ثمّ الأمثل فالأمثل»، يبتلى الرجل حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقَّة خفّف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتّى يمشي

(١) رسالة في الردّ على الرافضة ١: ٤٦ و٤٧.

على الأرض وليس عليه خطيئة، فالمؤمن إذا حضر يوم عاشوراء وذكر ما أُصيب به الحسين يشتغل بالاسترجاع ليس إلاّ كما أمره المولى ﷻ عند المصيبة ليحوز الأجر الموعود في قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧)... إلى أن يقول:

فالعاقل.. يستصغر ما يرد عليه من مصائب الدنيا وشدائدها وبلائها ويتسلّى ويتعزّى بما يصيبه من ذلك، ويشتغل يومه ذلك بما استطاع من الطاعات والأعمال الصالحات لحثّه - على صوم يوم عاشوراء، فبكلّ ذلك يصرف زمانه في أنواع القربات عسى أن يكتب من محبّي أهل القربى، ولا يتَّخذه للندب والنياحة والحزن كفعل الجهلة إذ ليس ذلك من أخلاق أهل البيت النبوي ولا من طريقهم، ولو كان ذلك من طرائقهم لاتَّخذت الأمّة يوم وفاة نبيّهم - مأتماً في كلّ عام، فما هذا إلاّ من تزيين الشيطان وإغوائه.

الجواب:

إنَّ تعظيم الشعائر ليست مخالفة للصبر، بل هو تجسيد عملي للصبر، مثلاً

ذلك الشخص الذي يموت أبوه فهل يتنافى مع الصبر أن يعقد له مجلس الترحيم أو يتصدَّق عنه، ويحيي ذكره سنوياً ويساعد محتاجاً للذهاب إلى الحجّ نيابة عن أبيه وما شاكل ذلك؟

الصحيح أنَّ ذلك لا يتنافى مع الصبر، بل هو صبر مع عمل، ولهذا فإنَّ من بلاغة القرآن الكريم والتفاتاته الرائعة أنَّه يقول: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٤٢)، فهو صبر مع توكّل وعمل.

الحقيقة أنَّ مفهوم الصبر يقابل مفهوم الجزع، ولا يقابل مفهوم البكاء والعزاء، فذلك لا ينافي الصبر.

وليعرف العالم أنَّ أصبر أمّة من الأمم وأصبر شعب من الشعوب هم شيعة أهل البيت (ع) ولا يوجد شعب صبور مثل شيعة أهل البيت، بدليل ثباتهم على المبدأ وعلى قيمهم وأنَّهم أسرع الناس في الإجابة للقيم الإنسانية ونداء البشرية المعذَّبة.

ولقد جارت الدنيا على شيعة أهل البيت فلم يرتدّوا عنهم، بل صبروا،

ولهذا يقول الإمام الصادق (ع): «إنّا صُبَّر وشيعتنا أصبر منّا»، قلت: جُعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: «لأنّا صبرنا على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون»[1]، فوَالله إنَّ الملائكة لتعجب لصبر الشيعة، فإنَّهم لم ينسحبوا مع كلّ البلايا والمصائب التي صبَّت عليهم قيد أنملة عن أهل البيت ولا عن الإسلام ولا عن القرآن وحتّى يظهر صاحب العصر والزمان فيملأ العالم قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

لماذا الارتباط بأهل البيت (ع)؟

نحن نقول: إنَّنا نأخذ الدين والمواقف والمعتقدات الدينية من مصادر الفكر الديني فإذا قالت تلك المصادر: يجب عليكم أن تطوفوا حول البيت سبع مرَّات، آمنّا بذلك رغم أنَّ الله تعالى غير محتاج لهذا الطواف، ولا إلى السعي بين الصفا والمروة، لكن الشريعة الإسلاميّة إذا أمرت بذلك

(١) الكافي ٢: ٩٣/ باب الصبر/ ح ٢٥.

وأرادت _ كما تشير إليه بعض الروايات _[١] تخليد الممارسة التي قامت بها زوجة إبراهيم (ع) أمّ إسماعيل حينما كانت تطلب له ماءً وسعت بين الصفا والمروة سبع مرَّات وكانت تقف هنا وهناك وتنادي: هل من أنيس؟ فجاء الدين هنا لتخليد ذكرها _ أو لسبب آخر _[٢] وقال: يجب على الحاجّ السعي بين الصفا والمروة، وإذا اعترض أحد علينا بشأن الطواف والحجّ وغيرها نقول: إنَّ الدين يؤخذ

---

(١) راجع: الكافي ٤: ٢٠٢/ باب حجّ إبراهيم وإسماعيل.../ ح ٣.

(٢) عن أبي جعفر (ع)، قال: «... كان الأنصار يهلّون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، فكانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسول الله (ص) عن ذلك فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾ [البقرة: ١٥٨]». (دعائم الإسلام ١: ٣١٦).

وعن علي بن جعفر، عن أخيه موسى (ع)، قال: سألته عن السعي بين الصفا والمروة، فقال: «جُعل لسعي إبراهيم (ع)». (قرب الإسناد: ٢٣٧/ ح ٩٣٢).

من مصادره وليس حسب مذاقاتنا، «إنَّ دين الله ﷻ لا يصاب بالعقول الناقصة»[١]، فإذا قالت المصادر الدينية: اذهبوا إلى الحجّ، وجب الذهاب إلى الحجّ، وهكذا.

مصادرنا الدينية هنا قالت: احيوا ذكر الحسين (ع) والنبيّ (ص) نفسه قد أحيا ذكر الحسين (ع)، أُنظروا صحاح السُنّة وكتبهم، رسول الله (ص) ينظر إلى الحسين ويبكي، قيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبريل (ع) أنَّ ابني الحسين يقتل بعدي»[٢]، مرَّات ومرَّات كان رسول الله (ص) يبكي، والأنبياء كذلك، وجاء أئمّتنا فشرَّعوا لنا أمراً وهو إحياء ذكر الحسين (ع) بالخصوص حتَّى أنَّ الإمام الباقر (ع) كان يستأجر ناد بات يندبن الحسين (ع) في منى[٣]، فنحن لا نأخذ

(١) كمال الدين: ٣٢٤/ باب ٣٢/ ح ٩.
(٢) مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ و١٨٨، عن المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧/ ح ٢٨١٤.
(٣) راجع: مقتل الحسين (ع) للمقرَّم: ١٠١؛ والموجود

شريعة الله من مذاقاتنا، بل من أهل الله، ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

قصَّة السيّد كاظم القزويني:

يقول السيّد كاظم القزويني: في سنة (١٣٩٢هـ) أوكل إليَّ أحد مراجع الدين في كربلاء أن أدفع رواتب شهرية لطلبة العلوم الدينية، فصادف ليلة أوّل الشهر ليلة الجمعة ولم يكن لديَّ مال لأوزّعه على الطلبة، وكان المبلغ المطلوب لهذا الغرض حدود ألف دينار عراقي _ وهو مبلغ كبير بالنسبة لتلك السنوات _، فكَّرت ممَّن أستدين الآن حتَّى أُسدّد له فيما بعد، فلم أجد من أستدين منه، سيّما أنَّ البعض كان يطلب ضماناً لاسترجاع ماله. فكتبت عريضة أُخاطب بها الإمام المهدي (ع) بهذا المضمون:

في المصادر المعتبرة، كما في: (تهذيب الأحكام ٦: ٣٥٨/ ح ١٠٢٥/١٤٦): عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله (ع)، قال: «قال لي أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى».

(إن كانت قصَّة المرحوم آية الله العظمى السيّد مهدي بحر العلوم في مكّة المكرَّمة صحيحة فحوّلوا إليَّ هذا المبلغ).

رميت هذه العريضة في ضريح الإمام أبي عبد الله الحسين (ع)، وفي الصباح بين الطلوعين جاءني أحد تجّار بغداد إلى المنزل، تناولنا فطور الصباح معاً ثمّ قدَّم لي ألف دينار بالضبط.

فاعترتني حالة غريبة من الوجد والسرور وخاطبت الإمام المهدي صاحب العصر والزمان فوراً: (سيّدي لم تنتظر حتَّى تطلع الشمس، هكذا سارعت في استجابة الطلب)[1].

ما هي قصَّة السيّد بحر العلوم؟

هو السيّد محمّد مهدي بحر العلوم الكبير الملقَّب بـ (صاحب الكرامات)، سكن في مكّة المكرَّمة ثلاث سنوات ومعه خادمه، فكان يبلّغ للدين ويروّج فقه

(١) أنظر: القصص العرفانية لرضا محمّد حدرج: ١٦٦ و١٦٧.

أهل البيت ويجيب على الأسئلة الفقهية لأبناء السُنّة على ضوء فقه مذاهبهم حيث كانت سعة اطّلاعه وعلومه الغزيرة تمكّنه الإجابة على أسئلة المسلمين هناك كلّ حسب مذهبه، وبذلك نال السيّد إعجاب المذصفين من السُنّة وعلمائهم، وأثبت بذلك حقّاً أنَّه بحر العلوم كما هو لقبه الكريم.

ولم يكن السيّد مقتصراً في عطائه الديني والعلمي، بل كان سخيّاً في عطائه المالي، يعين الطلبة الدارسين عنده والفقراء الذين يطرقون باب داره، فلمَّا أوشكت أمواله على الانتهاء قال له خادمه بصيغة العتاب: هكذا تبذل وتبذل حتَّى أصبحنا لا نملك الآن ما نرجع به إلى النجف الأشرف.

فسكت عنه السيّد بحر العلوم مكتفياً بابتسامة نابعة من سرّ ويقين.

وهكذا جاء اليوم الذي نفدت فيه الدراهم والدنانير كلّها، فجاء الخادم إلى السيّد يخبره قائلاً: أ لم أقل لك، فماذا نفعل الآن؟

أعطاه السيّد ورقة صغيرة وأرسله على عنوان في السوق ليسلّم الورقة لصاحب دكّان هناك.

يقول الخادم: ذهبت وإذ كان هناك رجل بسيماء الأولياء، استلم الورقة وقرأها ثمّ ناولني أكياساً مملوءة بالدراهم والدنانير. فرجعت بها إلى السيّد وأنا متعجّب من الأمر، وفي اليوم التالي رجعت إلى السوق لأتعرَّف على الرجل فلم أجد له من أثر، بل ولا أثر للدكّان أيضاً، فسألت أصحاب الدكاكين، وأكَّدوا أن لا أحد بهذه المواصفات كان يجاورهم. فعدّت إلى البيت وكنت غارقاً في التفكير، حتّى دخلت على السيّد، فسألني: أين كنت؟

قلت: كنت مشغولاً سيّدي.

قال السيّد وهو يبتسم: بل كنت ذاهباً إلى السوق تبحث عن الرجل الذي أرسلتك إليه بالأمس.

فازداد اندهاشي فوق اندهاشي الأوّل وانهمرت دموعي.

فقال السيّد: أتفكّر أنَّه لا صاحب

لنا[١]؟

كرامات الحسين (ع) لماذا؟

الحسين (ع) له كرامات كثيرة، فقد روي أنَّ الله سبحانه وتعالى عوَّض الحسين (ع) من قتله بأربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبَّته، والأئمّة من ذرّيته، وأن لا يعد أيّام زائريه من أعمارهم»[٢].

وجاء في زيارته (ع): «... يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ لَقَدِ اقْشَعَرَّتْ لِدِمَائِكُمْ أَظِلَّةُ الْعَرْشِ مَعَ أَظِلَّةِ الْخَلَائِقِ»[٣].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: إنَّ الحسين (ع) بكى لقتله السماء والأرض واحمرَّتا، ولم تبكِ يا على أحد قطّ إلاَّ على يحيى بن

---

(١) أنظر: القصص العرفانية لرضا محمّد حدرج: ١٦٧ و١٦٨.
(٢) عدَّة الداعي: ٤٨.
(٣) إقبال الأعمال ٣: ٣٤٢.

زكريا والحسين بن علي H»[١].

وقال أبو سعيد الخدري: ما رفع حجر في الدنيا لمّا قتل الحسين (ع) إلاّ وتحته دم عبيط[٢].

يعجب الإنسان عندما يقرأ ما كتبه ابن تيمية فإنّه لم يدع فضيلة لعلي وأهل بيته (ع) إلاّ وأنكرها أو ناقش فيها، ويأتي هنا ويطرح شبهة وهي: أنّ هذه الكرامات التي تنسب للحسين (ع) لو كانت صحيحة فلماذا لا نجد مثلها عند وفاة النبيّ (ص) أو مقتل الإمام علي (ع) وهما أفضل من الحسين (ع)[٣]؟

الجواب على ذلك: أنّ الكرامات والمزايا التي تُعطى للأنبياء والأولياء لا تخضع دائماً لمستوى التفاضل بينهم، وإنّما تخضع لطبيعة استحقاقات المشهد الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه ذلك النبيّ أو ذلك الوليّ، ولأجل ذلك اختلف الأنبياء في

(١) كامل الزيارات: ١٨١/ باب ٢٨/ ح (٤/٢٤٤).
(٢) نظم درر السمطين: ٢٢١.
(٣) راجع: منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٣٧ و٣٣٨.

امتيازاتهم وكراماتهم.

إنَّ رسول الله (ص) لم يكن لديه عصا موسى (ع)، فهل يعني ذلك أنَّ موسى أفضل منه (ص)؟ وعيسى (ع) كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ورسول الله (ص) لم يكن كذلك، فهل نقول: إنَّ عيسى أفضل منه (ص)؟ إنَّ رسول الله (ص) أفضل من إبراهيم (ع) بلا ريب، ومع ذلك فقد لقّب إبراهيم بخليل الرحمن ولم يلقَّب النبيّ (ص) بذلك.

نحن لا نبسط القضايا بشكل ساذج، فالكرامات والمعاجز والحوادث هي بحسب سياقاتها التاريخية واقتضاء المشهد المعاصر لذلك النبيّ، فهناك يقتضي المشهد أن يبرئ الأكمه والأبرص، وهناك يقتضي أن تلقف العصا ما يأفكون، وهكذا، فالقضيّة ليست مستنسخة، ومن السذاجة افتراض أنَّ جميع الأنبياء هم على نفس الشاكلة من حيث المعاجز والكرامات، بل بحسب المشهد وبحسب الإرادة الإلهية، وليس من الضروري أن نعرف كلّ شيء، فهناك أشياء لا نعرفها إنَّما هي في علم الله

تعالى، فلماذا ولد عيسى من غير أب ولم يولد النبيّ (ص) من غير أب؟ الله تبارك وتعالى هو الذي قدَّر لهذا النبيّ شكلاً ولذلك النبيّ شكلاً آخر من الكرامات.

فالله تعالى قدَّر لعيسى (ع) أن يرفعه إلى السماء ويبقى فيها خالداً، وقدَّر لإبراهيم (ع) أن يذبح ولده ثمّ افتدي بذبح عظيم، ولم يقدّر لرسول الله (ص) أيّاً من ذلك، فلكلّ نبيّ سياقاته الخاصّة وكراماته ومعاجزه.

وهكذا الحال في المشهد الحسيني فإنَّ الله تعالى أعطاه استحقاقات خاصّة قد نكتشف بعض أسرارها وقد لا نكتشف، ولكنَّها على كلّ حال لا تعني أنَّه أفضل ممَّن لم يكن له مثل تلك الكرامات، ونحن قد نحلّل ونقول: إنَّ الموقف يخضع لطبيعة المواجهة، وقد كان الحسين (ع) يعيش مواجهة في داخل العالم الإسلامي ولهذا كان يحتاج نمطاً من الكرامات التي تقيم الحجّة على المسلمين كالرأس الذي يقرأ القرآن،

فقد كان للحسين (ع) نمط آخر من أنماط التحدّي، هو وسبعون من أصحابه أمام المسار المنحرف في الأمّة وحكّامها، فهذا التحدّي يحتاج نموذجاً آخر من نماذج التدخّل الإلهي.

لقد كانت الملحمية في قضيّة الحسين (ع) غير موجودة في أيّة مأساة أخرى، ففي وفاة النبيّ (ص) لم تكن لدينا مثل هذه الملحمية، ولكن الأهمّ والأصحّ من هذا التحليل هو أن نقول: إنَّ هذه القضايا تتدخَّل فيها يد الغيب التي لا نحيط بأسرارها، والله تعالى قدَّر للحسين (ع) هذا الأمر، وقدَّر لعلي (ع) أن تنادي السماء لشهادته: «تهدَّمت والله أركان الهدى»[1]، وقدَّر للأنبياء والأئمّة كلّ حسب استحقاقات المشهد الذي يعيشه.

مثلاً يقول القرآن الكريم: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)، وهي الصخرة التي كان إبراهيم (ع) يقف

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢.

عليها ويبني الكعبة، فقد قدَّر الله لهذا المكان أن يكون مكاناً نصلّي خلفه، وأصبح شعاراً للمسلمين، لماذا؟ ربَّما لا نملك جواباً، فالصحيح أن نحيل هذه الأمور إلى الأسرار الإلهية.

مثال آخر: الطواف بين الصفا والمروة، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨)، وهذا تخليد لقضيّة هاجر وحركتها بين الصفا والمروة، ولكنَّنا نلاحظ أنَّه لا مريم ولا خديجة كان لديها مثل هذا التخليد، فهل يعني ذلك أنَّ هاجر أفضل منهما؟ طبعاً لا، بل إنَّ هذه القضيّة متروكة للتدبير الإلهي.

فالإرادة الإلهية اقتضت أن يكون للقضيّة الحسينية شأن يبقى مدى التاريخ مفاعلاً في النفوس والوجدان والضمير، كما القرآن الكريم له نمط من الفعل، والكعبة لها نمط، ورسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن (ع)، وهكذا الحسين أيضاً له نمط آخر من التأثير

الحيوي اللامتناهي على نفوس البشرية.

يقول الإمام الباقر (ع): «إنَّ الحسين (ع) قال لأصحابه: أبشروا بالجنة، فوَالله إنّا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثمّ يخرجنا الله وإيّاكم حتَّى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب. فقيل له: من قائمكم، يا ابن رسول الله؟! قال: السابع من ولد ابني محمّد بن علي الباقر، وهو الحجّة ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدَّة طويلة، ثمّ يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1]، وهذه انتقالة إلى عالم الغيب الذي لا يستطيع أحد التنبّؤ به.

الحسين (ع) فوق هذه الخرافات:

هناك شبهة أخرى يطرحها بعض الكتّاب من القدماء والمعاصرين، ومع

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٩٨ و٤٩٩/ ح (٢٥٩/٤٧٦)، عن مقتل الحسين (ع) للمقرَّم: ٢١٥/ طبع دار الثقافة.

الأسف أنَّ بعضهم ممَّن يدَّعي انتسابه إلى الشيعة، ورغم أنَّنا نعتقد أنَّ من الحقّ أن يطرح الإنسان أسئلة، لكن أن تطرح الشبهات لأجل السخرية ويتمّ بها رفع اليد عن عشرات الروايات الثابتة عن أئمّتنا الأطهار (ع)، فهذا ما نحذّر منه.

يقول بعض أصحاب الأقلام: إنَّ الحسين (ع) أكبر من هذه الأمور، فلا هو محتاج إلى بكاء ولا إلى لطم ولا إلى مشي ولا إلى سواد ولا إقامة مجالس العزاء، ثمّ يترقّى ويقول: إنَّ الحسين (ع) غير محتاج إلى مشي على الأقدام لزيارته وبذل الطعام وإقامة المضايف والحسينيات للزائرين!

هؤلاء مع الأسف يرون أنَّ هذه خرافات وضحك على الذقون! فما معنى أنَّ الملائكة ينزلون لزيارة الحسين (ع) وملائكة يصعدون!؟ أليست هذه خرافة!؟

الجواب على ذلك: صحيح أنَّ الحسين (ع) غير محتاج إلى كلّ ذلك، ولا الإمام

علي (ع) كان محتاجاً ولا رسول الله (ص) ولا فاطمة الزهراء (ع)، ولكن الكرامة الإلهية لعبد من العباد، أو نبيّ من الأنبياء هي مسألة لها شأن آخر ومدالیل أخرى.

المسألة ليست أنَّ الإمام الحسين (ع) محتاج أم غير محتاج للبكاء واللطم والعزاء وبذل الطعام ولبس السواد وإقامة المآتم، الإمام الحسين (ع) كما جاء عن النبيّ (ص): «إنَّ الحسين بن علي في السماوات أعظم ممَّا هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش: إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[1].

هذا هو شأن الحسين (ع)، فهو غير محتاج لأن نذكره، ولكن منطلق الكرامات والمنزلة عند الله وما يظهر في الدنيا لهذا الإنسان أو ذاك ليس هو مجرَّد الحاجة، بل هناك مبرّرات ومنطلقات أخرى هي من فضل الله ولطفه.

مبرّرات لكرامات النبيّ أو الإمام:

---

(١) مدينة المعاجز ٤: ٥٢/ ح (١٣٣/١٠٨٠).

إنَّ الكرامة التي تعطى للنبيّ أو الإمام لها عدَّة مبرّرات:

المبرّر الأوّل: إقامة الحجّة على الأعداء:

على سبيل المثال عيسى (ع) تكلَّم في المهد وأُمّه مريم ولدته من غير أب، رغم أنَّ عيسى ومريم غير محتاجين لذلك، ودين الله ليس محتاجاً لإقامة هذه الكرامات، ولكن الله تعالى يريد أن يقيم الحجّة على العباد فيعطي الكرامة لذاك النبيّ أو الوليّ، ﴿يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، أنت امرأة تقيّة وشريفة، فمن أين لك هذا الطفل؟

﴿فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ (مريم: ٢٨ _ ٣٤)، تلك الكرامة هي لإثبات الحجّة على الخصوم، وليست هي مسألة حاجة عيسى (ع)، فمثل ذلك حينما تتحدَّث الروايات عن تكلّم رأس الحسين (ع)، وبكاء السماء والأرض على قتله، فلا يقول قائل: إنَّ الحسين (ع)

غير محتاج لذلك، فلماذا نعتقد به؟

المبرّر الثاني: استجابة الدعاء:

بعض الكرامات قد تكون هي استجابة لدعاء النبيّ أو الوليّ، فالله تعالى يحبّ عبده الصالح فيستجيب دعاءه، وليست المسألة أنَّه محتاج، فمثلاً الحسين (ع) دعا على ابن سعد لمّا دخل في مفاوضات معه، فقال له عمر حين دعاه الحسين لترك الجيش والالتحاق لنصرته: أخاف أن تُهدم داري، فقال له الحسين (ع): «أنا أبينها لك»، فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين (ع): «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز»، فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثمّ سكت ولم يجبه إلى شيء، فانصرف عنه الحسين (ع) وهو يقول: «ما لك ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوَالله إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلاّ يسيراً»، فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البرّ _ مستهزئاً

بذلك القول[١]. فجاء المختار بعد سنوات من شهادة الحسين (ع) وأمر بقتله، فقتل. فلا يقول قائل: إنَّ هذه خرافة، فالمؤمن يدعو الله تعالى والله يجيب دعاءه، فكيف لا يستجيب دعاء إمام معصوم مظلوم؟

المبرّر الثالث: التكريم من الله:

بعض الكرامات تنطلق من مبرّر التكريم من الله، فالله تعالى يريد أن يكرم عبداً من عباده، يشرّف أحداً بشرفٍ ما، فموسى (ع) حين قال لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾، فذهب إلى النار، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ (طه: ١٠ ـ ١٣)، هذه كرامة من الله تعالى لموسى (ع).

إنَّ النبيّ (ص) عند الهجرة نزل على أُمّ معبد الخزاعية، وسألها عن طعام فلم يكن لديها شيء، فإذا شاة في زاوية البيت جرباء ضعيفة، فدعا بها ومسح يده على ضرعها، وقال: «اللّهمّ بارك لي في شأنها»، فتعافت

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٨ و٣٨٩.

ودرَّت لبناً، فدعا النبيّ بإناء لها فحلبها وشرب هو وأصحابه والمرأة وأصحابها، ولم يشرب هو حتَّى شربوا بجمعهم، ثمّ قال: «ساقي القوم آخرهم شرباً»، ثمّ حلب لها عوداً بعد بدء[1]. وهذه كرامة من الله تعالى.

العلاَّمة المجلسي; صاحب (بحار الأنوار)، جمع ثلاثاً وثمانين رواية من مصادر مهمّة فيها ما هي صحيحة السند في بركة تربة الإمام الحسين (ع) وآدابها، ومن جملتها: (استحباب الدعاء عند قبر الحسين (ع)، استحباب السجود على تربة الحسين (ع)، استحباب التسبيح بتربة الحسين (ع)، استحباب تحنيك الطفل المولود بتربة الحسين (ع)، الشفاء في تربة الحسين (ع)).

نذكر بعض هذه الروايات:

بركات تربة الإمام الحسين (ع):

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٥؛ مستدرك الحاكم ٣: ٩.

عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إليَّ أبو الحسن (ع) في مرضه وإلى محمّد بن حمزة، فسبقني إليه محمّد بن حمزة فأخبرني أنَّه ما زال يقول: «ابعثوا إلى الحائر، ابعثوا إلى الحائر»، فقلت لمحمّد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحائر؟ ثمّ دخلت عليه، فقلت له: جُعلت فداك، أنا أذهب إلى الحائر؟ فقال: «اُنظروا في ذلك»، ثمّ قال: «إنَّ محمّداً ليس له سرّ من زيد بن علي وأنا أكره أن يسمع ذلك»، قال: فذكرت ذلك لعلي ابن بلال فقال: ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر؟ فقدمت العسكر فدخلت عليه فقال لي: «اجلس _ حين أردت القيام _»، فلمَّا رأيته أنس بي ذكرت قول علي بن بلال فقال لي: «ألا قلت له: إنَّ رسول الله (ص) كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر وحرمة النبيّ (ص) والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله أن يقف بعرفة، إنَّما هي مواطن يحبّ الله أن يذكر فيها، فأنا أحبّ أن يدعى لي حيث يحبّ الله أن يدعى فيها، والحائر

من تلك المواضع»[١].

وعن معاوية بن عمّار، قال: كان لأبي عبد الله (ع) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله (ع)، فكان إذا حضرت الصلاة صبَّه على سجّادته وسجد عليه، ثمّ قال (ع): «السجود على تربة الحسين (ع) يخرق الحجب السبع»[٢].

وعن الصادق (ع) أنَّه قال: «من أدار الحجر من تربة الحسين فاستغفر به مرَّة واحدة كتب الله له سبعين مرَّة، وإن أمسك السبحة بيده ولم يسبّح بها ففي كلّ حبّة منها سبع مرَّات»[٣].

وعن الحسين بن أبي العلا، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «حنّكوا أولادكم بتربة الحسين (ع) فإنَّه أمان»[٤].

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٥.
(٢) بحار الأنوار ٨٢ : ١٥٣/ ح ١٤، عن مصباح المتهجّد: ٧٣٤/ ح (٨٢٤/٩٣).
(٣) بحار الأنوار ٨٢ : ٣٣٤/ ح ١٨، عن مصباح المتهجّد: ٧٣٥/ ح (٨٢٦/٩٥).
(٤) بحار الأنوار ٩٨: ١٢٤/ ح ٢٤، عن كامل

و عن سعد بن سعد، قال: سألت أبا الحسن (ع) عن الطين. قال: فقال: «أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، إلاّ طين قبر الحسين (ع) فإنّه فيه شفاء من كلّ داء وأمناً من كلّ خوف»[1].

كلّ المسلمين يذكرون في آداب الحجّ استحباب الشرب من بئر زمزم ثمّ تقول: «اللّهمّ إنّي أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كلّ داء وسقم»[2]، وهذه ليست من مختصّات الشيعة، فكيف نفسّر ذلك؟

ومثل ذلك حينما قال الله تعالى لأيّوب (ع): ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ﴾ (ص: ٤٢)، فقد كان ذلك كرامة لهذا النبيّ الصابر، أن جعل الله الشفاء في الماء.

ومثله يوسف (ع) حين قال: ﴿اذْهَبُوا

الزيارات: ٤٦٦/ باب ٩٢/ ح (٢/٧٠٨).

(١) بحار الأنوار ٩٨: ١١٢/ ح ٣٢، عن كامل الزيارات: ٤٥٨ و٤٥٩/ باب ٩٠/ ح (١/٦٩٧).

(٢) الكافي ٤: ٢٥٠/ باب حجّ النبيّ (ص)/ ح ٤٧؛ مستدرك الحاكم ١: ٤٧٣.

بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٣ _ ٩٦).

إذن نحن المسلمون نعتقد بأنَّ الله تعالى قد يجعل الكرامة في ماء زمزم، وأخرى في قميص يوسف، وثالثة في تربة الحسين (ع).

يغيث أصحابه ولا مغيث له:

ولنعد إلى الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء.

الإمام الحسين (ع) هو المغيث ولكن لا مغيث له، فكان كلَّما سقط أحد من أصحابه وأهل بيته يقول له: (السلام عليك يا أبا عبد الله) فيأتيه الحسين (ع) فوراً، لكن الحسين نفسه حينما استغاث لم يكن أحد يغيثه.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

المحاضرة السادسة:

الولاية التكوينية

لأهل البيت (ع)

- لماذا لم يستخدم الإمام الحسين (ع) ولايته التكوينية؟
- معنى الولاية التكوينية.
- قصَّة حديث الكساء.
- عيسى (ع) يتصرَّف بالوجود.
- سليمان يردّ الشمس.
- رواية في فضل شيعة أهل البيت (ع).
- نظرية أداء التكليف.
- الفرق بين التهلكة والتضحية.
- هل ألقى الحسين (ع) نفسه في التهلكة؟
- أنطوان بارا يتحدَّث عن الحسين (ع)

- مصيبة أبي الفضل العبّاس (ع)؟

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا لم يستخدم الإمام الحسين (ع) ولايته التكوينية؟

يقول الإمام الحسين (ع) وهو يستعرض مبرّرات خروجه من مكّة المكرَّمة إلى العراق: «وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم»[1].

والسؤال الآن إذا كان المعصوم (ع) يملك ولاية تكوينية تمنحه القدرة على التصرّف بالوجود فلماذا لم يستخدم الإمام الحسين (ع) هذه الولاية ويحقّق النصر على عدوّه وينجو من الموت المحتَّم؟

اسمحوا لنا قبل الإجابة على هذا السؤال أن نقف عند معنى الولاية التكوينية[2].

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣١٦ و٣١٧.

(٢) ولقد تحدَّثنا في المحاضرات السابقة عن

معنى الولاية التكوينية:

يقصد بهذه الولاية أنَّ أهل البيت (ع) كما أنَّ لهم ولاية تشريعية يشرّعون فيها الحلال والحرام اعتماداً على علمهم الكامل بالقرآن وسُنّة رسول الله (ص)، فإنَّ لهم إضافة إلى ذلك سلطة أخرى يعبّر عنها العلماء بالولاية التكوينية، والمقصود بها القدرة على التصرّف بهذا الكون.

إلاَّ أنَّ هناك عدَّة معانٍ للولاية التكوينية:

المعنى الأوّل: أنَّ المعصوم (ع) سرُّ الوجود، فهذا الوجود قائم على سرّ، ونحن غير مكتشفين ماهية هذا الكون الفسيح الهائل الذي لا نعرف منه نحن البشر إلاَّ نقطة في حاشية هذا الكون، وبعبارة علمية أخرى أنَّهم (ع) بمثابة الطاقة الموجودة المنتشرة في كلّ هذا الوجود

مراتب أهل البيت (ع) المتمثّلة بالمودَّة، والإمامة الفكرية، والإمامة السياسية، فيما نتحدَّث هنا عن الولاية التكوينية. (المؤلّف).

والمحرّكة له والماسكة به، بحيث لولا هذه الطاقة لانهار الوجود، كما هو شأن الروح للإنسان، فإنَّ الجسم سيفقد كلّ قواه وقدرته على الاحتفاظ بوجوده وتماسكه إذا خرجت عنه الروح.

لدينا عدَّة روايات قد تشير إلى هذا المعنى ذكرها العلاَّمة الكليني في الكافي الجزء الأوّل في باب (إنَّ الأرض لا تخلو من حجّة)، وقد ينا سب أن نقرأ قسماً من هذه الروايات:

فعن الإمام الصادق (ع): «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[1]، بمعنى انهارت وتلاشت، أي إنَّ الكرة الأرضية الآن قائمة على سرّ وقطب تدور عليه الرحى، وذلك القطب هو الإنسان الكامل الذي هو رسول الله (ص) والأئمّة الأطهار (ع)، والأرض بدون الإنسان الكامل ستنهار.

ويقول الإمام الباقر (ع): «لو أنَّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت

(١) الكافي ١: ١٧٩/ باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة/ ح ١٠.

بأهلها، كما يموج البحر بأهله»[١]، هذا يعني أنَّهم هم الطاقة والسرّ الماسك بهذا الوجود، فهم بمثابة الروح المبثوثة في هذا الوجود.

المعنى الثاني: أنَّهم (ع) هدف الخلق، وأنَّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق لهدف، وذلك الهدف هو الإنسان الكامل وهو النبيّ (ص) وأهل بيته (ع).

ويمكن أن نستشهد لهذا المعنى بالحديث الصحيح المعروف بحديث الكساء المرويّ بروايات صحيحة السند والذي جاء فيه قوله تعالى:

«يا ملائكتي، وسكّان سماواتي، إنّي ما خلقت سماءً مبنيةً ولا أرضاً مدحيةً، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري إلاّ في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

---

(١) الكافي ١: ١٧٩/ باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة/ ح ١٢.

فقال الأمين جبرائيل: يا ربّ! ومن تحت الكساء؟

فقال ﷻ: هم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فقال جبرائيل: يا ربّ أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟

فقال الله: نعم قد أذنت لك.

فهبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله! العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصّك بالتحيّة والإكرام ويقول لك: وعزّتي جلالي إنّي ما خلقت سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيةً، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري، إلاّ لأجلكم ومحبّتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟!

فقال رسول الله (ص): وعليك السلام يا أمين وحي الله! إنّه نعم قد أذنت لك.

فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال لأبي: إنَّ الله قد أوحى إليكم يقول:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فقال علي (ع) لأبي: يا رسول الله! أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟

فقال النبيّ (ص): والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً! ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبّينا إلاّ ونزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرَّقوا.

فقال علي (ع): إذن والله! فزنا وفاز شيعتنا وربّ الكعبة.

فقال أبي رسول الله (ص): يا علي! والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً! ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبّينا وفيهم مهموم إلاّ وفرَّج الله همَّه، ولا مغموم إلاّ وكشف الله غمَّه، ولا طالب حاجة إلاّ

وقضى الله حاجته»[١].

يقول الشاعر:

هم النور نور الله هم التين
فلولاهم لم يخلق ولا كان زيدٌ في
ولا سُطِحت أرضٌ ولا ولا طلعت شمس ولا

المعنى الثالث: القدرة على التصرّف بالوجود، بعيداً عن الأسباب والقوانين الطبيعية.

مثلاً يقول المفسّرون في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١)، وحسب الرأي المشهور: إنّه حدثت حالة إعجازية وإنَّ القمر قد انشقَّ بأمر رسول الله (ص)، ومعنى ذلك أنَّ له ولاية تكوينية بإذن الله تعالى.

عيسى (ع) يتصرَّف بالوجود:

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، عيسى (ع) يقول لهم: إنَّ معجزتي هي التصرّف بالكون فأحيي لكم الموتى وأُبرئ

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٧٦ - ٧٨/ ح (٣٦/٣٦)، نقلاً عن منتخب الطريحي: ٢٥٣.

الأكمه والأبرص، والأكمه بمعنى الأعمى، ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩)، هذا هو المعنى الثالث عن فكرة الولاية التكوينية.

سليمان (ع) يردّ الشمس:

وفي هذا المعنى تأتي قصّة ردّ الشمس إلى سليمان التي يذكرها المفسّرون حينما كان لديه استعراض عسكري حتّى غربت الشمس، فقال: ﴿رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ (ص: ٣٣)، حيث إنّ استعراضه امتدّ حتّى أوشكت الشمس أن تغيب ﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ﴾ (ص: ٣٢)، ولكنّه أعمل قدرته التكوينية فأمرها بأن ترجع فرجعت وصلّى كما هو في أحد التفاسير المشهورة للآيات[١].

وقد ردَّت الشمس لرسول الله (ص) وكذلك لعلي (ع) في أكثر من قصّة تاريخية[٢]،

---

(١) راجع: تفسير التبيان ٨ : ٥٦١؛ تفسير مجمع البيان ٨ : ٣٥٩.

(٢) راجع: المعجم الأوسط للطبراني ٤: ٢٢٤؛ المعجم الكبير للطبراني ٢٤: ١٥٢/ ح ٣٩١.

بمثل هذا يمكن أن نفسّر مجيء أمير المؤمنين (ع) من المدينة إلى المدائن لدفن سلمان كما يروي ذلك جابر بن عبد الله الأنصاري[١]، وقد كان سلمان الفارسي والياً في المدائن بعثه الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، فعندما مات سلمان حضر أمير المؤمنين (ع) وقام بعملية تغسيله وتكفينه.

وهذه الرواية ينظمها علاء الدين الشيخ علي بن الحسين الحلّي الشفهيني من شعراء القرن الثامن[٢]، فيقول:

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ٢: ١٣١.

(٢) يقول في قصيدة طويلة له:

يا علَّة الأشياء	معنى دقيق صفاته لن
إلاَّ لمن كشف الغطاء	شقَّ الحجاب مجرَّداً
يكفيك فخراً أنَّ دين	لولا كمالك نقصهُ لن
وفرائض الصلوات لولا	قرنت بذكرك فرضها
يا من إذا عُدَّت	رجحت مناقبه وكان
إنّي لأعذر حاسديك	أولاك ربّك ذو الجلال
إن يحسدوك على علاك	متسافل الدرجات
إحياؤك الموتى	بالغائبات عذرت فيك
وبردّك الشمس	أفلت وقد شهدت

وبليلة نحو فيها لسلمان بعثت

رواية في فضل شيعة أهل البيت(ع):

هذه الرواية يرويها الشيخ الصدوق في أماليه[1]، يقول: عن علي بن الحسين H، قال: «قال سلمان الفارسي ;: كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله (ص) إذ أقبل علي بن أبي طالب (ع)، فقال له: «يا علي، ألا أبشّرك؟

قال: بلى يا رسول الله.

قال: هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله ﷻ أنَّه قد أعطى محبّيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنّة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عاماً».

ونفوذ أمرك في مدّاً فأصبح ماؤه
وبليلة نحو المدائن فيها لسلمان بعثت

راجع: الغدير للأميني ٦: ٣٨٨.

(١) أمالي الصدوق: ٤١٦ و٤١٧/ ح (١٥/٥٤٨).

الحسين (ع) يعمل بالتكليف الشرعي:

لقد كان الحسين (ع) _ في ضوء نظرية الولاية التكوينية _ قادراً على تحقيق النصر وهزيمة العدوّ، ولكنّه مع ذلك لم يستخدم تلك الولاية، لماذا؟

يبدو مؤكّداً _ في الفكر الديني _ أنَّ الإمام المعصوم نبيّاً كان أو وصيّاً مكلَّف بالعمل وفق الأسباب والأدوات الطبيعية لدى البشر، والخضوع لاستحقاقات الموقف البشري إلاَّ في حالات خاصّة تتدخَّل فيها الإرادة الإلهية بشكل مباشر.

على أساس ذلك كانت حروب رسول الله (ص)، وكانت حركة أمير المؤمنين (ع) في المجالس السياسي أو العسكري، وهكذا كانت حركة باقي الأئمّة الأطهار (ع)، كما كانت حركة الأنبياء من قبل، فهي تعتمد على العوامل والأدوات والأسباب الطبيعية وليس على الأسباب الغيبية.

إنَّ النبيّ والإمام المعصوم يخضع للتكليف الشرعي كما يخضع له سائر

الناس، وهو مكلّف بأداء مهمّته وفقاً لمعطيات ذلك التكليف.

ولنقف هذه الليلة عند هذا الموضوع لنشرح نظرية أداء التكليف.

نظرية أداء التكليف:

إنَّ حركة الإمام الحسين (ع) لم تكن من أجل تحقيق النصر المادّي العاجل، بل كانت من أجل أداء التكليف الشرعي، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس من شروط ذلك تحقيق النصر.

يقول الإمام الحسين (ع): «لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد»[١]، ويقول: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (ص) أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢]، لقد شخَّص الإمام الحسين (ع) أنَّ تكليفه هو النهوض والثورة بهدف سلب الشرعية من الحكم

(١) الإرشاد ٢: ٩٨.
(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

الأموي، «ومثلي لا يبايع مثله»[١]، لقد كان الهدف هو إقامة الحجّة على البشرية إلى أبد الدهر والتأكيد على أنَّ الخطّ الصحيح والإسلام الأصيل لا يمثّله خطّ الخلافة الحاكمة يومئذٍ فإنَّهم لا يمثّلون الإسلام، هذا هو الهدف، ولم يكن الهدف هو تحقيق النصر العاجل الذي لم تكتمل شروطه بعد.

وسوف يتَّضح بذلك الجواب على شبهة أنَّ الحسين (ع) ألقى بنفسه في التهلكة!

الفرق بين التهلكة والتضحية:

يقول عقبة بن سمعان: سرنا معه _ أي الحسين (ع) _ ساعة فخفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثمّ انتبه، وهو يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين»، ففعل ذلك مرَّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين _ أي علي الأكبر _ على فرس فقال: ممَّ حمدت الله واسترجعت؟

فقال: «يا بني، إنّي خفقت خفقة

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٧.

فعنَّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنَّها أنفسنا نعيت إلينا».

فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟

قال: «بلى، والذي إليه مرجع العباد».

قال: فإنَّنا إذن لا نبالي أن نموت محقّين.

فقال له الحسين (ع): «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده»[1]، هذه هي نظرية أداء التكليف، ما دام الله تعالى راضٍ، فالنصر ليس مهمّاً.

ذكر الصدوق في أماليه[2] أنَّ عبد الله بن عمر سمع بخروج الحسين (ع)، فقدَّم راحلته، وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل، فقال: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: «العراق»، قال: مهلاً ارجع إلى حرم جدّك. فأبى

(١) الإرشاد ٢: ٨٢.
(٢) أمالي الصدوق: ٢١٧.

الحسين (ع) عليه، فلمّا رأى ابن عمر إباءه قال: يا أبا عبد الله، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله (ص) يقبّله منك. فكشف الحسين (ع) عن سرَّته، فقبَّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى، وقال: أستودعك الله يا أبا عبد الله، فإنّك مقتول في وجهك هذا.

هل ألقى الحسين (ع) نفسه في التهلكة؟

الجواب: إنَّ التهلكة عمل غير عقلائي متهوّر وحركة بلا معنى ولا هدف، ولكن هل تعتبر الحركات الثورية في العالم تهلكة وتهوّراً؟! وهم الآن يقولون: إنَّ الإمام الحسين (ع) أسَّس للثورة والصمود والنضال ومواجهة الديكتاتوريات مهما تجبَّرت، إذن فهو درس للأبطال في العالم، فالتهوّر والعمل اللاعقلائي هو التهلكة، أمَّا الحسين (ع) فقد شكَّل البذرة الأولى بهذا العمل لإسقاط الحكم الأموي وزعزعة الأرض من تحت عروش الظالمين على طول التاريخ، نعم، فالحسين (ع) قام بعمل قدَّسه الثوّار

والعقلاء والأبطال والكتّاب والمؤرّخون، ومن يقول: إنَّها تهلكة فهؤلاء حاقدون، كما قالوا عن رسول الله (ص): «إنَّ النبيّ ليهجر»[١].

الأصابع الوهّابية في تحريف الثورة الحسينية:

ماذا فعلت الوهّابية في التاريخ لتشويه صورة الثورة الحسينية؟ ونحن نريد أن نتابع تأثيرات الأصابع الوهّابية في القرن العشرين.

فلقد حاولت الأقلام أن تصدّر مئات الكتب وتدفع بعشرات الكتّاب لكي يحرّفوا صورة الثورة الحسينية، سنشير هنا إلى تسع محاولات لتشويه صورة الثورة الحسينية[٢]:

المحاولة الأولى: تلميع وجه يزيد واعتباره إنساناً صالحاً متَّقياً قارئاً للقرآن، حتَّى قال بعضهم: (إنَّه كان

---

(١) صحيح مسلم ٥: ٧٦.

(٢) راجع: الإمام الحسين (ع) في المصنّفات المصرية لهادي التميمي: ٢٠٨ - ٢٦٢.

حافظاً للقرآن)[١].

وقال بعضهم: (إنَّ تاريخ يزيد لو درس دراسة رائدها البحث عن الحقيقة المجرَّدة عن الهوى والميول والعواطف لتغيَّرت نظرة كثير من الناس إلى يزيد ولأخذ مكانه الصحيح بين خلفاء المسلمين في التاريخ الإسلامي)[٢].

وقال الآخر: (والحقيقة أنَّ يزيد لم يكن شارب خمر ولا فاسقاً كما اشتهر ذلك بواسطة الدعاية الشيعية)[٣].

ولكن الحقيقة التاريخية تؤكّد فسق يزيد وسقوطه الأخلاقي، أنظر في ذلك كتب التاريخ للطبري وابن الأثير وابن كثير[٤]، وهي من أهمّ الكتب

---

(١) راجع: دراسة في مقدّمة تحقيق كتاب (قيد الشريد) لكرم حلمي فرحات: ٢١ - ٣٥.
(٢) العالم الإسلامي في العصر الأموي لعبد الشافي محمّد عبد اللطيف: ١٢٧.
(٣) الشيعة وإمامة علي لعامر النجّار: ٢٦.
(٤) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٣٦٨؛ الكامل في التاريخ ٤: ١٠٣؛ البداية والنهاية ٨: ٢٣٦.

التاريخية، ثمّ أنظر مقولة ابن عمر وابن الزبير وكلامهم على يزيد[١]، كما أنَّ الإمام الحسين (ع) يقول عن يزيد: «يزيد فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع مثله»[٢].

المحاولة الثانية: اعتبار خلافة يزيد شرعية، لأنَّ معاوية قد أخذ البيعة له، والبيعة _ في الفقه الإسلامي السُنّي _ يكفي لها بيعة رجل واحد أو اثنين، فلو أنَّ واحداً في شرق الأرض بايع الخليفة انعقدت له الخلافة الشرعية ووجب على مئات ملايين

---

(١) جاء في تاريخ اليعقوبي (ج ٢/ ص ٢٢٨): أنَّه لمَّا بايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن علي لم يتخلَّف عن البيعة إلاَّ أربعة نفر: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير. وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق؟! ما حجّتنا عند الله؟! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية خالق، وقد أفسد علينا ديننا.

(٢) مثير الأحزان: ١٤.

المسلمين أن يطيعوه[١]!

والحقيقة أنَّنا نخجل حين يُعرض الإسلام بهذا الشكل الأسود، فإذا بايع شخص واحد أيّ إنسان على الخلافة مهما كان ساقطاً فإنَّ ذلك يعطيه الحقّ أن يقتل الملايين الذين لم يبايعوه لأنَّهم خرجوا عليه.

المحاولة الثالثة: اعتبار الحسين (ع) خارجاً على الخلافة الشرعية لأنَّه رفع راية العصيان، فهو متمرّد على الخلافة الشرعية كما يتحدَّث بذلك أحمد شلبي في

(١) قال الإيجي في كتابه المواقف (ج ٣/ ص ٥٩٤): إنَّ البيعة أمارة دالّة على حكم الله ورسوله بإمامة صاحب البيعة، وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة فاعلم أنَّ ذلك الحصول لا يفتقر إلى الإجماع من جميع أهل الحلّ والعقد، إذ لم يقم عليه - أي على هذا الافتقار - دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنين من أهل الحلّ والعقد كافٍ في ثبوت الإمامة ووجوب اتّباع الإمام على أهل الإسلام.

كتابه (الدولة الأموية)[١]، ثمّ يقول: (إنَّ الحسين لا يختلف عن يزيد إلاَّ بأنَّ الحسين هو ابن رسول الله ويزيد ليس ابن رسول الله)!

المحاولة الرابعة: حقّ يزيد في قتل الحسين (ع)، لأنَّ الحسين هو الذي سبَّب في إهدار دمه[٢]، وقال آخرون: إنَّ يزيد لم يكن يريد قتل الحسين (ع)، بل إنَّه عتب على ابن زياد حينما قتل الحسين (ع) وقال: (عجَّل عليه الطاغية ابن زياد)[٣].

المحاولة الخامسة: إنَّ أهل الكوفة هم من قتل الحسين (ع) وليس يزيد[٤]. وهذا بحث مهمّ طبعاً، لأنَّنا

---

(١) راجع: المكتبة الإسلاميّة لكلّ الإعمار لأحمد شلبي: ٤٨ - ٥٣.

(٢) راجع: الدولة الأموية في الشرق لمحمّد الطيّب النجّار: ٩١ و٩٢.

(٣) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢؛ تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٤٤٥؛ سير أعلام النبلاء ٣: ٣٠٣.

(٤) راجع: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي لمحمّد ماهر حمادة: ٤٤.

نعتقد أنَّ أهل الكوفة والعراق هم موضع مودَّة أهل البيت (ع)، والشعب العراقي هو الشعب المحبوب والثائر للحقّ، وليس كما يقول بعض الكتّاب: (إنَّ أهل الكوفة طينتهم التمرّد)[١]، نعم لقد تمرَّدوا على الباطل وليس على الحقّ، لقد تمرَّدوا على يزيد، فالتمرّد هو روح الثورة التي غرسها فيهم الحسين (ع).

المحاولة السادسة: إنَّ حركة الإمام الحسين (ع) كانت حركة انفعالية، أي إنَّها لم تكن مسألة أهداف ومبادئ وإنَّما خدعه أهل الكوفة.

كما وقع الحسين (ع) تحت تأثير أولاد مسلم بن عقيل، يقول المؤرّخون: ولمَّا بلغ الحسين (ع) قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة قال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما»، يردّد ذلك مراراً، فقيل له: نشدك الله

(١) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي ٢: ١٩٥.

في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك، فنظر الحسين (ع) إلى بني عقيل، وقال: «ما ترون فقد قتل مسلم بن عقيل؟»، قالوا: والله لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق»، فأقبل الحسين (ع) وقال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء»[١].

إذن كانت حركة الحسين (ع) بدوافع الثأر والانفعال النفسي والوقوع تحت تأثير الآخرين[٢]!

يستغرب الإنسان من هذا الكلام، لكن ذلك ليس عجيباً ممّن يقدّس أمثال يزيد وابن ملجم، ومن الجميل أنّ عبّاس محمود العقّاد وهو الكاتب المصري المعروف يناقش هذا الرأي غير العلمي

---

(١) أنظر: روضة الواعظين: ١٧٨ و١٧٩؛ إعلام الورى ١: ٤٤٧.

(٢) راجع: الحالة السياسية للمدينة المنوّرة أبان الحكم الأموي لمحمّد عبد العال: ٥٨ و٥٩.

في كتابه (أبو الشهداء) حيث يقول فيه: (العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وإنَّه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسلام، ويعتقد أشدّ الاعتقاد بأنَّ تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله)[١]، الحسين (ع) أجلّ من القضيّة المزاجية، وإذا قرأنا التاريخ ونصوص الحسين (ع) سوف نعرف أنَّ قضيّة الحسين (ع) كانت قضيّة مبدئية لا مزاجية.

المحاولة السابعة: إنَّ حركة الحسين (ع) كانت تفرقة للأمّة! يقول الخضري وهو أحد كبار القوم في الأزهر في كتابه (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلاميّة): (إنَّ الحسين أخطأ خطئاً عظيماً في خروجه هذا الذي جرَّ على الأمّة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا)[٢]،

(١) أبو الشهداء لعبّاس محمود العقّاد: ٢٠٦.
(٢) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلاميّة لمحمّد الخضري

لاحظوا أنَّ الخضري لا يقول ذلك في يزيد، ولا في آل مروان، ولا في الخوارج، بل يقول ذلك في الحسين (ع) ويعتبره هو سبب الفرقة! ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

ومثل ذلك ما فعله ابن تيمية حيث ينتقد من يرى أنَّ الثورة الحسينية كانت طلباً للحقّ فيقول: (ولم يكن في الخروج _ أي خروج الحسين (ع) _ لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ص) حتَّى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإنَّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل منه شيء بل زاد الشرّ بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار ذلك سبباً لشرّ عظيم)[1]، لاحظوا الجرأة على الحسين (ع)، فهو يرى أنَّ ثورة الحسين (ع)

بك ٢: ١٢٩ و١٣٠.

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣١٦ و٣١٧.

أصبحت سبباً لشرّ عظيم، وليته قال مثل هذا الكلام عن يزيد، ولكنَّه عندما يصل إلى يزيد يراه من حفّاظ القرآن، ومن التقاة.

وهنا نقول للخضري وابن تيمية: من أين نأخذ الفقه الإسلامي أيّها الخضري ويا ابن تيمية؟ أنتم ترون أنَّ الحركة ضدّ السلطان الجائر مفسدتها أكثر من مصلحتها، وهذا رأي فقهي، ولكن على أيّ مصدر علمي استندتم أم على أيّ عماد اعتمدتم؟ ولماذا لم تأخذوا الرأي الفقهي من أهل البيت (ع)؟ وقد اعتبرهم رسول الله (ص) عدل القرآن، والثقل الثاني بعده. فلستم أفقه من علي والحسن والحسين والباقر والصادق (ع). هذا يزيد وذاك الحسين (ع) لماذا أصبح يزيد شرعياً والحسين (ع) ليس شرعياً؟ لماذا أصبحت حركة الحسين (ع) سبباً للفساد؟

تقولون: إنَّ الوقوف بوجه الطغاة يعتبر مفسدة، هذا كلام غير مقبول، والعالم الآن كلّه يتحدَّث عن ضرورة أن

تحكم العدالة، وأن لا يستسلم البشر لحكم الجبابرة، فلماذا كان على الحسين (ع) _ من وجهة نظركم _ أن يبايع يزيد الفاسق ويستجيب له؟!

المحاولة الثامنة: الحسين (ع) لم يكن كفوءً سياسياً وإنَّما كان إنساناً بسيطاً ساذجاً.

الدكتور حمادة لديه دراسة وثائقية يقول فيها: (إنَّ الحسين (ع) كان رجلاً بلا كفاءة سياسية، ولا قابلية إدارية، ولا عسكرية، فخدعه أهل الكوفة!)[١].

ويقول عبد اللطيف في كتابه (العالم الإسلامي)[٢]: إنَّ الحسين يقوده إخوة مسلم بن عقيل إلى التهلكة، (فقد عرضوا أنفسهم وابن عمّهم إلى الهلاك!).

ويقول ماجد في كتابه (التاريخ

---

(١) راجع: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي لمحمّد ماهر حمادة: ٤٤.

(٢) العالم الإسلامي في العصر الأموي لعبد الشافي محمّد عبد اللطيف: ٤٧٥.

السياسي)[١]: (الحسين لا يتمتَّع بمزيّة الدهاء فلم يحتط للمواجهة وخرج خلف مسلم إلى الكوفة ولم ينتظر ما يفعله).

ويقول الآخر: (كان الحسين رجلاً طيّب القلب اغترَّ بدعوة الشيعة في الكوفة)[٢].

الصحيح أنَّ الحسين (ع) لم يكن مغترّاً بكتب أهل الكوفة، فحركته من المدينة إلى مكّة المكرَّمة كانت في شعبان قبل مجيء كتب الكوفيين، فهو خرج إلى مكَّة المكرَّمة بعد وصول كتاب يزيد إلى الوليد يأمره بأخذ البيعة من أهل المدينة وخاصّة من الحسين (ع) ويقول: (وإن امتنع عليك فاضرب عنقه وابعث برأسه إليَّ)[٣]، فكتب أهل الكوفة سواء جاءت أم لم تجئ فإنَّ

(١) التاريخ السياسي للدولة العربية لعبد المنعم ماجد ٢: ٧٦.
(٢) راجع: التاريخ الإسلامي العامّ لعلي إبراهيم حسن: ١٨٣.
(٣) راجع: مثير الأحزان: ١٣.

الحسين (ع) كان يخرج لا محالة.

يقول الإمام الحسين (ع): «وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتَّى يقضوا فيَّ حاجتهم»[١]، فالحسين (ع) يعلم أنَّ هناك تخطيط لقتله.

بل كانت القضيّة واضحة قبل الحسين (ع)، فإنَّ جبرائيل (ع) قد أخبر النبيّ (ص) بأنَّ الحسين (ع) سيقتل بأرض الطفّ[٢].

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣١٦ و٣١٧.

(٢) عن عائشة قالت: ... خرج رسول الله – والتربة في يده وهو يبكي، فقال: «يا عائشة إنَّ جبريل (ع) أخبرني أنَّ الحسين مقتول في أرض الطفّ...». (أنظر: المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧/ ح ٢٨١٤).

⇦

⇨ وعن أمّ سَلَمة أنَّ رسول الله – اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خاثر النفس وفي يده تربة حمراء يقلّبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبريل (ع) أنَّ هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها». (المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٩ و١١٠/ ح ٢٨٢١؛ مستدرك الحاكم ٤: ٣٩٨).

إذن هي إرادة إلهية وتخطيط بشري، فكيف يستطيع الإنسان أن يتجاسر ويقول: (كان الحسين رجلاً طيّب القلب اغترَّ بدعوة الشيعة في الكوفة).

الحسين (ع) مرَّ في طريقه على منطقة تسمّى بطن العقبة فنزل عندها، ولقيه شيخ من بني عكرمة يقال له: عمرو بن لوذان، فسأله: أين تريد؟ فقال له الحسين (ع): «الكوفة»، فقال الشيخ: أنشدك الله لما انصرفت، فوَالله ما تقدم إلاَّ على الأسنّة وحدّ السيوف، وإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطؤوا لك الأشياء

وعن أُمّ سَلَمة قالت: كان رسول الله – جالساً ذات يوم في بيتي فقال: «لا يدخل عليَّ أحد»، فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله – يبكي، فأطلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمته حين دخل، فقال رسول الله –: «إنَّ جبريل كان في البيت، فقال: أتحبّه؟ قلت: أمَّا في الدنيا فنعم، قال: إنَّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء...». (المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ٢٨٩).

فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكر فإنّي لا أرى لك أن تفعل. فقال له الحسين (ع): «يا عبد الله، ليس يخفى عليَّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره»[١].

وهو (ع) يقول لأُمّ سَلَمة: «يا أُمَّ إنّي لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، والساعة التي أُحمل فيها، والحفرة التي أُدفن فيها، وأعرف قاتلي ومحاربي والمجلب عليَّ والسائق والقائد والمحرّض، ومن هو قاتلي ومن يحرّضه، ومن يقتل معي من أهلي وشيعتي رجلاً رجلاً، وأُحصيهم عدداً، وأعرفهم بأعيانهم وأسمائهم وقبائلهم وعشائرهم كما أعرفك، وإن أحببت أريتك مصرعي ومكاني»[٢].

المحاولة التاسعة: إنَّ الإمام الحسين (ع) لم يكن حازماً في أمره، بل كان متردّداً، وقد همَّ بالرجوع ولكن

---

(١) أنظر: الإرشاد ٢: ٧٦.

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٠٣.

لم يدعه أصحابه[١]!

نعم لقد التقى الإمام الحسين (ع) بعمر بن سعد مراراً، ولكن هذه اللقاءات قد نقلت بشكل محرَّف، فقد كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله ابن زياد: (أمَّا بعد فإنَّ الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمّة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه)[٢].

فالحسين (ع) وفق هذه الرواية وافق على مبايعة يزيد، لكن هذا تحريف للتاريخ، ولم توجد لدينا إلاَّ هذه الرواية المحرَّفة التي يرويها عمر بن سعد، أمَّا الروايات التاريخية

(١) راجع: التاريخ الإسلامي لحسن إبراهيم حسن ١: ٣٩٩.
(٢) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٠٠.

الأخرى الصحيحة تقول: إنَّ الإمام الحسين (ع) كان يقول في مواضع عديدة: «لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد»[١]، والحسين (ع) من اليوم الأوّل كان يخبر أهل بيته وأصحابه بالشهادة، فأين تردّد الحسين؟

إذن كلّ هذه التحريفات جاءت للطعن بثورة الحسين (ع) وحركته، وأخيراً يأتي كتّاب جُدد لكي يدافعوا عن يزيد والحكم الأموي دفاعاً مستميتاً بإنكار جميع الوقائع التي وقعت على الحسين (ع) وأصحابه ويندسبون ذلك إلى أكاذيب الشيعة، فإنَّ ما جرى على الحسين (ع) بأمر من يزيد وابن زياد أوضح من الشمس في رابعة النهار، فقد نقل المؤرّخون من العامّة والخاصّة قتل الحسين (ع) وحمل الرؤوس وإحراق الخيام وسبي أهل بيته، ومع ذلك فإنَّ بعض الكتّاب يسمح لنفسه أن يجانب

(١) الإرشاد ٢: ٩٨.

الحقيقة ويكذب على التاريخ.

يقول الكاتب شاهين في كتابه (الدولة الأموية المفترى عليها)[١]: إنَّ الذين قاتلوا الحسين كانوا على حقّ ومجتهدين، وإنَّ الحسين يستحقّ القتل، ورسول الله (ص) قال: أقبلت عليكم الفتن، والقاعد فيها خير من القائم، وهؤلاء قتلوا الحسين تبعاً لرسول الله، وهؤلاء شرعيين وحركة الحسين غير شرعية.

ويقول في تكذيب السبي والسلب وقطع الرؤوس: (إنَّ هؤلاء الرجال المتقاتلين كانوا مسلمين اجتهدوا فاختلفوا فتقاتلوا، ولم يكونوا ليخرجوا عن دائرة الإسلام وقيمه إلى هذا الحدّ الذي يهون عليهم المثلة بجسد ابن بنت نبيّهم، أو سلبه بعد موته، أو ارتكاب هذه الخسّة مع نساء

(١) راجع: الدولة الأموية المفترى عليها لحمدي شاهين: ٣٢٠.

عربيات)، لاحظوا هذا الكاتب، هو يقبل بقتل الحسين لكنَّه لا يقبل أن تسبى زينب!

ولكن لم يأتِ هذا الكاتب بشيء جديد، بل سبقه إلى ذلك ابن تيمية الذي يقول: (وأمَّا ما ذكر من سبي نساء الحسين والذراري والدوران بهم في البلاد وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قطّ)[1]، إذن فكيف وصلت الرؤوس والسبايا وزينب (ع) إلى الشام!؟

ويقول ابن خلدون المؤرّخ المعروف المعاند لأهل البيت (ع): (فرأى الحسين أنَّ الخروج على يزيد متعيّن من أجل فسقه لا سيّما من له القدرة على ذلك، وظنّها من نفسه بأهليته وشوكته، فأمَّا الأهلية فكانت كما ظنَّ وزيادة، وأمَّا الشوكة فغلط يرحمه الله)[2]! هذا

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٣٦.
(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٢١٦.

هو تقدير أمثال ابن خلدون للإمام الحسين (ع).

الحسين (ع) في الفكر المسيحي:

(أنطوان بارا) الكاتب المسيحي لديه شهادة الدكتوراه في الإبداع العالمي الإنساني في باريس، وهو عضو نادي كتّاب الخيال العلمي في نيويورك، وهو عضو اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، وعضو منظّمة الصحافيين العالمية، وعضو الاتّحاد الدولي للصحافة في بروكسل، وعضو الاتّحاد العامّ للصحفيين العرب، وعضو اتّحاد الصحفيين السوري، وعضو جمعية الصحفيين الكويتية. قيل: إنَّه تشيَّع، ولكنَّه يرفض ذلك[١].

هذا الكاتب المسيحي لديه كتاب (الحسين في الفكر المسيحي)، يقول عنه: (... والآن حينما أُعيد قراءته _ أي هذا الكتاب _ بعد مضي ثلاثة عقود

(١) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٣٨١.

على تأليفه، يتأكّد لي أنّني كنت خلال كتابته واقعاً تحت تأثير وإلهام ما كنت قادراً على إنجازه دون عونهما...) إلى أن يقول: (وتظلّ تجربة هذا الكتاب مجال فخري ما حييت، إذ برغم تراكم الخبرة الفكرية وتعدّد الكتب التي ألّفتها في شتّى المواضيع والحقول، أشعر بعجزي الآن عن إنجاز عمل شبيه به أو في مستوى أقلّ منه بكثير حتّى لو تفرّغت له عشر سنوات)[١].

هذا الكاتب المسيحي ساقته الأيادي الوهّابية إلى المحكمة لأجل سطر كتبه وهو: (إنّ سياسة عثمان بن عفّان كانت سياسة فاسدة إدارياً ومالياً)، قالوا: إنّ هذا الكلام طعن بالإسلام والمسلمين[٢].

والحقيقة أنّ محاكمته إنّما كانت

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٦٤ و٦٥.

(٢) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٤٠٥.

لأجل أنَّه كتب عن الحسين (ع) ودافع عنه، فقامت عليه هذه الحملة الشنيعة.

وبودّي أن أنقل لكم هنا خلاصة الأفكار في هذا الكتاب، فإنَّه يمكن أن نلخّص ما جاء في الكتاب من الآراء في ثلاث نقاط هي:

١ _ إنَّ الحسين (ع) شهيد الإسلام كما هو شهيد المسيحية واليهودية، بل هو شهيد الأديان الإلهية، وشهيد الإنسانية أجمعها، ويدافع الكاتب عن هذه الفكرة بشدَّة.

٢ _ إنَّ عيسى (ع) تنبَّأ بقتل الحسين (ع)، وأنَّ قتله سيحرّك الإنسانية جميعها، ويستدلّ على ذلك بنصوص من الإنجيل.

٣ _ إنَّ الحسين (ع) يمثّل صوت السماء الذي يحرّك القلوب، وهذه القضيّة هي فوق التحليل، وعيسى (ع) يقول: «من الخير لكم أن أمضي فإن لم أمض لا يأتكم المؤيَّد»، وهو يقصد بـ (المؤيَّد) الإمام الحسين (ع).

لقد تحدَّثنا في المحاضرات السابقة عن تحريف الأصابع الوهّابية للقضيّة الحسينية، وبهذا الخصوص يسجّل الكاتب (أنطوان بارا) عتباً على المسلمين حيث إنَّ الإمام الحسين (ع) لم يأخذ مكانته بينهم، ويقول نقلاً عن قسيس مسيحي: (لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كلّ بلد بيرقاً، ولنصبنا له في كلّ قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين)[١].

نبوءة عيسى (ع) بقتل الحسين (ع):

قال نبيّ الله عيسى (ع): «من أدرك أيّامه فليقاتل معه فإنَّه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر، وكأنّي أنظر إلى بقعته، وما من نبيّ إلاَّ وزارها»[٢].

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٨٢.

(٢) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٢٨٩، نقلاً عن كامل الزيارات: ١٤٣/ باب ٢٢/ ح (٢/١٦٧).

وقال (ع) لكربلاء: «إنَّكِ لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الزاهر»[١].

يقول (أنطوان بارا): إنَّ الإنجيل تنبَّأ بأشياء هي أبسط وأهون بكثير من حادثة كربلاء، حيث تحدَّث عن خراب بابل، وفيضان النيل، وظهور إسرائيل، وظهور النفط من بطن الأرض، وتحدَّث عن اختراع الطيران، واكتشاف الذرّة، والصعود على القمر[٢].

فليس غريباً أن يتنبَّأ عيسى (ع) بقتل الحسين (ع) وحادثة كربلاء، قال عيسى (ع): «إنّي ذاهب الآن إلى الذي أرسلني فإن لم أمض لم يأتكم المؤيّد _ هو الحسين (ع) _، أمَّا إذا مضيت فأرسله لكم، ومتى جاء أخزى العالم الخطيئة والبرّ والحكم»[٣].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٣٩.
(٣) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٢٩١.

أوجه التشابه بين الحسين وعيسى H:

ثمّ يبحث في فصل آخر أوجه التشابه بين الحسين وعيسى H ويقول:

(حينما استشهد الحسين (ع) أظلمت الدنيا ثلاثة أيّام واسودَّت سواداً عظيماً حتَّى ظنَّ الناس أنَّ القيامة قامت، وبدت الكواكب نصف النهار، ولم يُرَ نور الشمس ثلاثة أيّام كاملة...) إلى أن يقول: (وحينما استشهد عيسى (ع) _ حسب النظرية المسيحية _ انتشر ظلام شديد على الأرض كلّها)[1].

هذه القضيّة موجودة في كتبنا أيضاً، فعن زرارة أنَّه قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع): «يا زرارة إنَّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنَّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنَّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنَّ الجبال تقطَّعت وانتثرت، وإنَّ البحار تفجَّرت، وإنَّ الملائكة بكت

(١) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ١١٢.

أربعين صباحاً على الحسين (ع)...»[١].

وعن خلف بن خليفة، عن أبيه، قال: لمّا قتل الحسين اسودَّت السماء وظهرت الكواكب نهاراً[٢].

وعن جعفر بن سليمان، قال: حدَّثتني خالتي أُمّ سالم، قالت: لمَّا قتل الحسين بن علي مطرنا مطراً كالدم[٣].

وعن الصادق جعفر بن محمّد H، قال: «أصبحت يوماً أُمّ سَلَمة Â تبكي، فقيل لها: ممَّ بكاؤك؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنَّني ما رأيت رسول الله (ص) منذ مضى إلاَّ الليلة، فرأيته شاحباً كئيباً، فقلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً؟ قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه عليه وعليهم

(١) كامل الزيارات: ١٦٧/ باب ٢٦/ ح (٨/٢١٩).
(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٦.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٩.

السلام»[١].

و عن عمر بن عكرمة، قال: أصبحنا ليلة قتل الحسين (ع) بالمدينة، فإذا مولى لنا يقول: سمعنا البارحة منادياً ينادي ويقول:

أيّها القاتلون أبشروا بالعذاب
كلّ أهل السماء من نبيّ ومرسل
قد لُعنتم على وذي الروح حامل

و قال ابن عبّاس: رأيت النبيّ فيما يرى النائم في نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة دم، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، ما هذه القارورة؟ قال: «دم الحسين، لم أزل ألتقطه منذ اليوم»[٣].

يقول (أنطوان بارا): (إذا كانت الطبيعة والوحوش والأشياء قد انفلتت

---

(١) أمالي الطوسي: ٩٠/ ح (٤٩/١٤٠).
(٢) كامل الزيارات: ١٩٦/ باب ٢٩/ ح (٩/٢٧٦)؛ مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٢٣٠ و٢٣١.
(٣) مثير الأحزان: ٦٢؛ مسند أحمد ١: ٢٨٣؛ مستدرك الحاكم ٤: ٣٩٨.

من أسارها وانفعلت حزناً على الحسين، فإنَّ رسول الله الكريم الذي قال: «حسين منّي وأنا من حسين» حضر المعركة التي عُذّب فيها بضعته وريحانته...)[١].

روي أنَّه سمع العسكر صوتاً هائلاً يقول: ويحكم يا أهل الكوفة إنّي أرى رسول الله (ص) ينظر إلى جمعكم وهو قابض على لحيته المقدَّسة، فصاح الجمع: لا يهولنَّكم ذلك، وكان الصادق (ع) يقول: «لا أراه إلاَّ جبرئيل»[٢].

فهناك نقاط شبه بين الحسين وعيسى H يستعرضها الكاتب[٣]، وهي:

أوّلاً: عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، عن أبي عبد الله (ع)، قال: «لم يعش مولود قطّ لستّة أشهر غير الحسين

(١) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ١١٤.
(٢) مقتل الحسين للمقرَّم: ٢٩٦.
(٣) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٨٣ - ٨٧ .

(ع)، وعيسى بن مريم»[١].

ثانياً: عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيّات، قال: حدَّثني رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله (ع): «... لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أنثى لكنَّه كان يؤتى به النبيّ (ص) فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة»[٢]. يقول أنطوان بارا: (هكذا كان الحسين الرضيع غذيُّ النبوّة كما كان عيسى مولود النفحة السماوية بمريم غذيُّ القولة الإلهية).

ثالثاً: الحسين (ع) شُرّد وحوصر واُعطش واُهين وذُبح وسُبيت عياله وجُرّد من ثيابه وسُلبت حلله ووُطئ جسده الطاهر بحوافر الخيل، وكذلك عيسى (ع) اضطهد واُهين وحوكم وطُعن وبُصق عليه وجُرّد من ثيابه وقُتل، هذا طبعاً بحسب النظرية المسيحية، ولكن

---

(١) الإمامة والتبصرة: ٥٢/ ح ٣٧؛ ذخائر العقبى: ١١٨.

(٢) كامل الزيارات: ١٢٤/ باب ١٦/ ح (٦/١٣٧).

النظرية الإسلاميّة تقول: إنَّ ما كان هو مشهد القتل ولكنَّه لم يُقتل ولم يُصلب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧).

رابعاً: الاشتراك في المنطق والأهداف، فالحسين (ع) ثار من أجل الحقّ والمظلومين وكذلك عيسى (ع).

الحسين (ع) قال: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (ص) أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]، وقال عيسى (ع): «روح الله نازل عليَّ لأنَّه مسحني وأرسلني لأُبشّر الفقراء وأُبلّغ المأسورين إطلاق سبيلهم وأُفرّج عن المظلومين وأعلن سُنّة مرضية لدى الربّ».

خامساً: قال الحسين (ع) لجيش عمر بن سعد: «لا تلبثون بعدها إلاَّ كريث ما يركب الفرس حتَّى تدور بكم دور الرحى

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليَّ أبي عن جدّي»[١]، فأخبرهم عن مستقبل أسود سيلاقونه حتّى ورد في رواية أنّه قال: «اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسِنِيَّ يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبَّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلاّ قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة...»[٢]، وفي روايات أخرى: (ما بقي أحد ممّن شهد كربلاء من قتلة الحسين إلاّ وقد أماته الله ميتة سوء أو بقتلة سوء)[٣]. وهكذا كان عيسى (ع) يقول لتلاميذه: «إذا اضطهدوني يضطهدونكم أيضاً، سينزلون بكم ذلك كلّه من أجل اسمي».

سادساً: الحسين (ع) أنكره الأقربون والذين استدعوه من المدينة، كذلك عيسى (ع)، فقد قتله اليهود وهم أبناء ديانة إلهية، فلمّا أعدموه _

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٥٩؛ مثير الأحزان: ٤٠ و٤١.
(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٩.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٣٤.

بحسب النظرية المسيحية _ كان (ع) وحده. يقول أنطوان بارا: (عيسى أنكره أقرب تلامذته بطرس).

سابعاً: قال الحسين (ع): «ابغوا لي ثوباً لا يرغب فيه أجعله تحت ثيابي لئلاً أُجرَّد منه»[١]، فلمَّا قُتل (ع) جرَّدوه منه. وعيسى (ع) اقتسمت ثيابه بعد وفاته _ بحسب النظرية المسيحية _ إلى أربعة أنصباء لكلّ جندي نصيب.

ثامناً: الحسين (ع) مات عطشاناً، فقد كان (ع) يقول في آخر لحظاته: «اسقوني شربة من الماء، فقد نشفت كبدي من الظمأ»[٢].

الحسين (ع) مجدَّل مطعون بنحره وحلقه ورأسه وجبهته وقفاه، والدم ينبع ويخضب جسه الطاهر ويلوّن شيبته

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٧٣؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ١١٧/ ح ٢٨٥٠؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢١.
(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٥٩٦/ ح (٣٩٣/٦١٠)، نقلاً عن منتخب الطريحي: ٤٣٩.

المقدَّسة، طلب ماءً فأبو أن يسقوه، وقال له رجل: لا تذوقه حتَّى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فقال الحسين (ع): «بل أرد على جدّي رسول الله وأسكن معه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي»[1].

وعيسى (ع) مات عطشاناً، ففي لحظات نزاعه الأخير وقبل أن يسلّم روحه صاح متألّماً طالباً شربة ماء: «أنا عطشان»، فلم يؤتَ له بماء.

تاسعاً: قال الحسين (ع) وهو يخاطب معسكر عمر بن سعد: «أمّا بعد فانسبوني وانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم (ص) وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟

---

(١) أنظر: مثير الأحزان: ٥٧.

أوَلَيس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟ أوَلم يبلغكم قول مستفيض لكم أنَّ رسول الله (ص) قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟...»[١]، وعيسى (ع) يقول: «أعلى لصّ خرجتم تحملون السيوف والعصي؟ كنت كلّ يوم بينكم في الهيكل فلم تبسطوا أيديكم إليَّ، ولكن تلك ساعتكم، وهذا سلطان الظلام»، وقال أيضاً: «ألم يعطكم موسى الشريعة؟ وما من أحد منكم يعمل بأحكام الشريعة، لماذا تريدون قتلي؟».

عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله (ع): «إنَّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي H، لم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قتل الحسين (ع)»[٢]، وكان الحسين (ع) يقول: «قال لي رسول الله (ص):

---

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١١٧.
(٢) كامل الزيارات: ١٧١ و١٧٢/ باب ٢٧/ ح (٢/٢٢٢).

إنَّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»[١].

وعيسى (ع) رفض أن تنصره الملائكة كي يكون شاهداً على التاريخ، يقول (ع) لأحد أنصاره: «اغمد سيفك، فمن يأخذ بالسيف يهلك، أوَ تظنّ أنّي لا أستطيع أن أسأل ربّي فيمدّني الساعة بأكثر من اثني عشر فيلقاً من الملائكة؟ ولكن كيف تتمّ آيات الكتب التي تقول: إنَّ هذا ما يجب أن يحدث؟»[٢].

نَوحُ الجنّ على الحسين (ع):

يحاول (أنطوان بارا) أن يقارن بين الحسين وعيسى H في نوح الجنّ عليهما، فيقول:

(ممَّا هو معروف أنَّ المسيح (ع) كانت له سلطة على الجنّ والأرواح وجند الملائكة، فقد كانت تأتمر بأمره

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٤٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

(٢) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٩٩.

فتنقله بلمحة طرف إلى أيّ مكان، ويأمرها فتنفّذ له ما أمرها به، وعندما تبكي الجنّ على مقتل الحسين فإنَّ هذه الحكمة الأعجوبة لمعجزة خارقة أُتيَ بمثلها لعيسى (ع))[١]، فلا يقول قائل: إنَّ هذه أساطير. فالحسين (ع) هو صوت تحرّر الإنسانية في كلّ العالم.

إنَّ الحسين (ع) يمثّل صوت السماء والأرض والإنسانية والملائكة والجنّ، وصوت كلّ كائن حيّ.

إنَّ ما يشهده العالم اليوم هو معجزة الحسين (ع)، إنَّ الملايين من الناس اليوم يلطمون الرؤوس والصدور لمشهد لا مثيل له في العالم أبداً، لأنَّ هناك سرّاً إلهياً في قضيّة الحسين (ع)، بل حتَّى الأنبياء (ع) كلّهم يذكرون الحسين ويبكون عليه.

يروي ابن عساكر في تاريخه _ وهو

(١) الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ١١٨.

من مؤرّخي العامّة _ أنَّ الناس كانوا يسمعون الجنّ تنوح الحسين، فعن أُمّ سَلَمة أنَّها قالت: سمعت الجنّ تنوح على الحسين يوم قتل وهنَّ يقلن:

أيّها القاتلون أبشروا بالعذاب
كلّ أهل السماء من نبيّ ومرسل
قد لُعنتم على وموسى وصاحب

وروى ابن قولويه في كتابه (كامل الزيارات)[٢] أنَّ الجنّ لمّا قتل الحسين (ع) بكت عليه بهذه الأبيات:

يا عين جودي وابكي فقد حقَّ
ابكي ابن ورد الفرات
الجنّ تبكي لمّا أتى منه
قتل الحسين تعساً لذلك من
فلأبكينّك حرقة عند العشاء
ولأبكينَّك ما عرق وما حمل

وروى ابن نما في (مثير الأحزان) عن أبي الحبّاب: لمّا قتل الحسين (ع)

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٤٠.
(٢) كامل الزيارات: ١٩٧/ باب ٢٩/ ح (١٠/٢٧٧).

ناحت عليه الجنّ، فكان الجصّاصون يخرجون بالليل إلى الجبانة فيسمعون الجنّ يقولون:

مسح النبيّ فله بريق
وأبوه من أعلى وجدّه خير

ولمّا قتل الحسين (ع) واجتزَّ رأسه قعدوا في أوّل مرحلة يشربون النبيذ خرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطراً بالدم:

أترجو أمّة قتلت شفاعة جدّه يوم

يقول ابن لهيعة: كنت أطوف بالبيت فإذا برجل يقول: اللّهمّ اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبد الله اتّق الله ولا تقل مثل ذلك، فإنَّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك، فإنَّه غفور رحيم. قال: فقال لي: تعالَ حتّى أُخبرك بقصّتي، فأتيته فقال: اعلم إنّا كنّا خمسين نفراً ممَّن سار

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ٣: ٢١٨؛ ذخائر العقبى: ١٤٥.

مع رأس الحسين (ع) إلى الشام، فكنّا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت، فشرب أصحابي ليلة حتّى سكروا ولم أشرب معهم، فلمّا جنَّ الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم (ع) ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبيّنا محمّد (ص) ومعهم جبرائيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرائيل من التابوت وأخرج الرأس وضمَّه إلى نفسه وقبَّله، ثمّ كذلك فعل الأنبياء كلّهم، وبكى النبيّ (ص) على رأس الحسين (ع)، وعزّاه الأنبياء، وقال له جبرائيل (ع): «يا محمّد إنَّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط»، فقال النبيّ (ص): «يا جبرائيل فإنَّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة»، ثمّ جاءت الملائكة نحونا ليقتلونا، فقلت: الأمان

الأمان يا رسول الله، فقال: «اذهب فلا غفر الله لك»[١].

الفكرة التي يتحدَّث عنها هذا الكاتب المسيحي (أنطوان بارا)، والتي يؤمن بها الفكر الديني هي نظرية الغضب الكوني لمقتل الحسين (ع)، أو غضب الطبيعة، فنحن نقول: إنَّ غضب الله تعالى عمَّ في كلّ الكون لمقتل الحسين (ع).

صالح (ع) هو نبيّ من الأنبياء كانت معجزته ناقة تشرب هي في يوم ويشرب قومه في يوم آخر، فقال لقومه: إنَّها فتنة لكم وامتحان، ولا تقتلوها فينزل عليكم بلاء عظيم، فقتلوها وغضب الله تعالى عليهم وأنزل عليهم بلاءً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٠٠ و١٠١.

واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ (القمر: ٢٣ _ ٣١)، فهؤلاء قتلوا ناقة صالح فغضب الله عليهم فأنزل عليهم صيحة جعلت منازلهم خاوية، فكيف بمن قتل الحسين (ع)؟ فعندما نقول: إنَّ الله غضب لمقتل الحسين (ع) لا يستغرب الإنسان، فالحسين (ع) أكرم عند الله من ناقة صالح (ع).

الحقيقة أنَّ جريمة قتل الحسين (ع) لا يتحمّلها فقط أولئك الذين شاركوا في قتله، بل هي جريمة البشرية بأجمعها، ولهذا نعتذر إلى الله تعالى من جريمة قتل الحسين (ع). فنحن نشعر بالخجل أنَّ ابن رسول الله (ص) يُقتل بهذا الشكل.

مصيبة أبي الفضل العبّاس (ع):

الحسين (ع) لم يحمل العبّاس بعد مصرعه إلى المخيَّم، على خلاف ما صنعه مع جميع أنصاره وأهل بيته، وهنا يأتي المؤرّخون ويتساءلون: لماذا لم يحمل العبّاس؟ بعض العلماء يقول: هذا سرّ مكنون، والشعراء يقولون: إنَّ

العبّاس طلب أن يبقى في مكانه لأنَّه كان قد وعد سكينة بالماء وهو يأبى أن يعود إليها بدون ماء.

ولكنّي أقول: إنَّ الحسين (ع) لم يبقَ معه أحد من بني هاشم ولا الأنصار كي يحملوا العبّاس لأنَّهم قد قتلوا، والحسين (ع) وحده وقد أخذ منه العطش والدماء والجهد ومصرع الأحبّة مأخذاً كبيراً، والحسين (ع) يقول: «الآن انكسر ظهري»[1]، فالمكسور ظهره لا يستطيع حمل أخيه.

فأكب منحنياً عليه بين الخيام وبينه
نادى وقد ملأ صمُّ الصخور لهولها
أأخي من يحمي إن صرن يسترحمن
هذا حسامك من يذل ولواك هذا من به

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٦٧.

المحاضرة السابعة:

الأمانة

وأهمّية الصلاة

- الحسين (ع) هو الأمانة الإلهية في الأرض.
- معاني الأمانة الإلهية
- أمانة الشريعة في زمن الغيبة.
- أهمّية أداء الأمانة.
- أهمّية الصلاة.
- أهل البيت هم الوديعة، شبهة وجوابها.
- امتيازات علي الأكبر (ع).
- شبهة وجوابها.
- كيف سقى رسول الله (ص) علياً الأكبر

(ع)؟

- قصَّة حنظلة غسيل الملائكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين (ع) هو الأمانة الإلهية في الأرض:

لقد تحدَّث القرآن الكريم عن الأمانة الإلهية فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢)، ورغم اختلاف المفسّرين في معنى هذه الأمانة إلاَّ ممَّا تواتر عند أهل الحديث أنَّ رسول الله (ص) قد قال عند وفاته: «اللّهمّ أهل بيتي وأنا مستودعهم كلّ مؤمن _ ثلاث مرَّات _»[1]، بما يعني أنَّ أهل البيت (ع) هي الأمانة التي تركها الرسول (ص) بين يدي الناس.

ولنعد إلى الآية الكريمة والتفاسير التي ذكرت فيها.

معاني الأمانة الإلهية:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٠؛ كنز العمّال ١٢: ١٠١/ ح ٣٤١٨٥؛ بحار الأنوار ٢٢: ٤٦١/ ح ٨.

وتأتي الأمانة هنا بعدَّة معانٍ:

المعنى الأوّل: إنَّ الأنبياء وسيّدهم رسول الله (ص) ويتبعهم أهل البيت (ع) هم الأمانة المحفوظة التي استأمنها الله تعالى عند عباده، ففي قول رسول الله (ص): «لمَّا أُسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل (ع) لأهل السماء استودع الله حبّي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله ﷻ حبّي وحبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا أمّتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة»[1]، أي إنَّهم أمانتي عندكم فكيف ستتعاملون مع هذه الأمانة.

وهذا المعنى الأوّل هو أحد التفاسير في معنى الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

(١) الكافي ٢: ٤٦/ باب نسبة الإسلام/ ح ٣.

﴿يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢)، فلقد اختلف المفسّرون في معنى هذه الأمانة، فهل هي العقل، أم الإسلام، أم الرسالة الإلهية؟ أم بمعنى أعمق و هو الولاية لله تعالى بكلّ ما تستحقّه تلك الولاية، ومنها ولاية أهل البيت (ع)، كما جاء ذلك في الروايات الواردة عن أهل البيت (ع).

الرواية يرويها الشيخ الصدوق في كتابه (معاني الأخبار)[1]: عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (ع): «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبّائي، وأوليائي، وحججي على

(١) معاني الأخبار: ١٠٨/ باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض.../ ح ١.

خلقي، وأئمّة بريَّتي، ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ منهم، ولمن تولاّهم خلقت جنَّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم منّي ومحلّهم من عظمتي عذَّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقرَّ بولايتهم ولم يدع منزلتهم منّي ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جنّاتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفَّعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي فأيّكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه دون خيرتي؟ فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّها، فلمَّا أسكن الله ﷻ آدم وزوجته الجنّة قال لهما: ﴿وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ _ يعني شجرة الحنطة _ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فنظرا إلى منزلة

محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة، فقالا: يا ربّنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله ﷻ: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبّار ﷻ، فقالا: يا ربّنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبّهم إليك، وما أشرفهم لديك! فقال الله ﷻ: لولا هم ما خلقتكما، هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سرّي...».

والعبارة الأخيرة في الحديث الشريف «وأمنائي على سرّي» تقودنا إلى:

المعنى الثاني: أمناء الله على سرّه، بمعنى أنَّ مفاتيح الأسرار الكونية وقضاء الله وقدره محفوظ عند أهل البيت (ع) وهذا هو ما نقرؤه في الزيارة الجامعة الكبيرة لأهل البيت (ع) والمروية عن الإمام الهادي (ع):

«ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ، وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ»[١]، ولعلَّ ما يؤكّد هذا المعنى الأحاديث التي أكّدت أنَّ أهل البيت (ع) يعرفون الاسم الأعظم الذي به يحفظ هذا الوجود، هذا الاسم الذي جاء في الدعاء: «باسمك الأعظم الأعظم الأجلّ الأكرم الذي وضعته على النهار فأضاء وعلى الليل فأظلم»[٢]، هذا الاسم الذي يتركّب من ثلاثة وسبعين حرفاً، أودع الله تعالى العلم بأكثره عند أهل البيت (ع).

يمكن أن أقرأ لكم الرواية عن جابر، عن أبي جعفر (ع)، قال: «إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنَّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلَّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثمّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين وعندنا نحن من الاسم اثنان

(١) المزار لابن المشهدي: ٥٣٤.
(٢) مصباح المتهجّد: ٨٠٤/ الرقم (٩/٨٦٦).

و سبعون حرفاً و حرف عند الله ا ستأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم»[١].

المعنى الثالث: الأمناء على شريعة الله تعالى ووحيه، و هذا هو ما نقرؤه في زيارتهم (ع) الـتي تقول: «السَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أمِين اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَعَزَائِم أمْرِهِ»[٢]، «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أمِينَ اللَّهِ فِي أرْضِهِ وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ»[٣].

هذه هي معانٍ ثلاثة للأمانة الإلهية، و في كلّ هذه المعاني فإنَّ الحسين (ع) سيكون أمانة الله في الأرض، إن كان بالمعنى الأوّل أو الثاني أو الثالث.

أمانة الشريعة في زمن الغيبة:

الآن في غيبة الإمام المعصوم فقد ترك النبيّ (ص) وأهل البيت (ع) أمانة الشريعة الإسلاميّة بيد من قال (ص)

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٢٨/ باب في الأئمّة (ع) أنَّهم أعطوا اسم الله الأعظم.../ ح ١.
(٢) مصباح المتهجّد: ٧٤١/ الرقم (١٠٣/٨٣٤).
(٣) مصباح المتهجّد: ٧٣٨/ الرقم (٩٨/٨٢٩).

فيهم: «الفقهاء أمناء الرسل»، ووضع (ص) شرطاً لإتمام هذا التأمين وهو «ما لم يدخلوا في الدنيا»، قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: «اتّباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»[١]، فأمناء الرسل هم الزاهدون العابدون الصالحون حتَّى لو كانوا في قمّة الملك، هكذا كانت سيرة أمير المؤمنين (ع) قبل خلافته وبعدها كما وصفه معاوية بأنَّه: (لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه)[٢]، وقد دخل ابن عبّاس على أمير المؤمنين (ع) وقال: إنَّ الحاجّ قد اجتمعوا ليسمعوا منك وهو يخصف نعلاً، قال: «أما والله إنَّها لأحبُّ إليَّ من إمرتكم هذه إلاَّ أن أقيم حقّاً أو أدفع

(١) الكافي ١: ٤٦/ باب المستأكل بعلمه والمباهي به/ ح ٥.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٢.

باطلاً»[١]، ومراجعنا العظام هكذا كانوا وهكذا هم اليوم، سواء حكموا أم لم يحكموا فهم نوّاب الإمام المعصوم (ع).

أهمّية أداء الأمانة:

يقول الحديث الشريف: «أحبُّ العباد إلى الله ﷻ رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلواته وما افترض الله عليه، مع أداء الأمانة»[٢]، أداء الأمانة بأبسط مستوياتها كالائتمان على درهم إلى أعلى المستويات كحفظ الأمانة الإلهية على الأرض وهي الدين والإسلام والقرآن ورسول الله (ص)، وهذا الحديث ينقلنا إلى مدلول آخر في حركة الإمام الحسين (ع) وهو:

أهمّية الصلاة:

الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء كان لديه اهتمام خاصّ بالصلاة حيث قال له أحد أصحابه: يا أبا عبد الله نفسي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٧٠.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٧١/ ح (٨/٤٦٧).

لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتّى أُقتل دونك إن شاء الله، أحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه ثمّ قال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها»[١]، فقام الحسين (ع) وصلّى بأصحابه جماعة وسط المعركة فلم تكن بينهم وبين أعدائهم حواجز وهم مكشوفون للعدو.

كثير من الروايات تؤكّد على أهمّية الصلاة في وقتها منها:

قال رسول الله (ص): «ليس منّي من استخفَّ بصلاته لا يرد عليَّ الحوض لا والله، ليس منّي من شرب مسكراً لا يرد عليَّ الحوض لا والله»[٢].

وقال إمامنا الصادق (ع): «إنَّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة»[٣].

و قال أيضاً: «الصلاة وكّل بها ملك ليس له عمل غيرها فإذا فرغ منها

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٤٢.
(٢) علل الشرائع ٢: ٣٥٦/ باب ٧٠/ ح ١.
(٣) المحاسن للبرقي ١: ٨٠/ باب عقاب من تهاون بالصلاة/ ح ٦.

قبضها ثمّ صعد بها فإن كانت ممَّا تقبل قبلت وإن كانت ممَّا لا تقبل قيل له: رد ها على عبدي فينزل بها حتَّى يضرب بها وجهه، ثمّ يقول: أف لك ما يزال لك عمل يعنيني»[١].

وقال أيضاً: قال رسول الله (ص): «لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا ضيَّعهنَّ تجرَّأ عليه فأدخله في العظائم»[٢].

وفي ثواب الصلاة عن الإمام الصادق (ع)، قال: «إذا قام المصلّي إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض وحفَّت به الملائكة وناداه ملك: لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل»[٣].

أهل البيت هم الوديعة: شبهة وجوابها:

قلنا: إنَّ أهل البيت (ع) هم

---

(١) الكافي ٣: ٤٨٨/ باب النوادر/ ح ١٠.
(٢) الكافي٣: ٢٦٩/ باب من حافظ على صلاته أو ضيَّعها/ ح ٨ .
(٣) الكافي ٣: ٢٦٥/ باب فضل الصلاة/ ح ٤.

وديعة رسول الله (ص) عند هذه الأمّة وهم الأمانة عند المسلمين، ويجدر هنا الإشارة إلى شبهة يثيرها ابن تيمية فإنَّه يقول تعليقاً على قول النبيّ (ص) في الحسن والحسين H: «هؤلاء وديعتي عندكم»[1]: (هذا الحديث لا يُعرف في شيء من كتب الحديث الذي يعتمد عليها، والنبيّ (ص) أعظم من أن يودع ولديه لمخلوق، فإنَّ ذلك إن أُريد به حفظهما كما يحفظ المال المودع فالرجال لا يودعون، وإن كان كما يستودع الرجل أطفاله لمن يحفظهم ويربّيهم فهما كانا في حضانة أبيهما ثمّ لمَّا بلغا رفع عنهما حجر الحضانة فصار كلّ منهما في يد نفسه، وإن أُريد بذلك أنَّه أراد أنَّ الأمّة تحفظهما وتحرسهما فـ ﴿اللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وكيف يمكن واحد من الأمّة

(١) منهاج الكرامة للعلاَّمة الحلّي: ٨٢؛ وفي مناقب آل أبي طالب (ج ٣/ ص ١٥٨) بهذا النصّ: «هما وديعتي في أمّتي».

أن يدفع عنهما الآفات، وإن أُريد بذلك المنع من أذاهما بالعدوان عليهما ونصرهما ممّن يبغي عليهما فلا ريب أنَّ هذا واجب لمن هو دونهما)[1].

إذن فصدور هذا الحديث عن النبيّ (ص) إن قصد به الحسن والحسين H فهو بلا معنى، وإن قصد به الجميع فلا ميزة ولا كرامة خاصّة للحسن والحسين!

الجواب:

إنَّ هذا التشكيك بعيد عن الفهم العرفي لمخاطبات الناس، فلا شكَّ أنَّ التركيز في الوصيّة على بعض الأمور يدلّ على أهمّيتها وامتيازها. فلو أوصى رسول الله (ص) بالقرآن وقال: (إنَّه وديعتي عندكم فاحفظوه) فهل يقول أحد: إنَّ هذا الكلام غير مقبول لأنَّ الله تعالى هو حافظ القرآن، وقد قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)!؟ لا شكَّ أنَّ أحداً لا يستطيع أن يجرّد كلام النبيّ (ص) عن الحكمة والدلالة الخاصّة على أهمّية القرآن، هكذا حينما

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣٣٩ و٣٤٠.

يجعل الحسن والحسين وديعة عند الناس بهدف التأكيد على المزيد من رعايتهما وعدم إيذائهما والتعرّض لهما بمكروه، وقطع الطريق على كلّ من يشكّك في وجوب الدفاع عنهما، أو من يقول: إنَّهما قد خالفا الشريعة، أو خرجا عن جادّة الصواب فيبرّر بذلك قتلهما كما فعل بنو أميّة.

امتيازات علي الأكبر (ع):

نحاول هذه الليلة أن نقف عند شهادة علي الأكبر، ولقد أعطاه الإمام الحسين (ع) عدّة امتيازات:

الامتياز الأوّل: حينما قال الإمام الحسين (ع): «اللّهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك، كنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه»[1].

الامتياز الثاني: حينما رجع علي الأكبر واشتكى العطش، قال له الحسين (ع): «يا بني هات لسانك»، فأخذ

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٢.

بلسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه وقال: «أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوّك فإنّي أرجو أنّك لا تمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً»[1]، وهذه الخصوصية لم تعطَ لغير علي الأكبر، رغم أنّ كلّ واحد من شهداء الطفّ له امتياز بشكل آخر.

الامتياز الثالث: لمّا سقط علي الأكبر صريعاً وجلس الإمام الحسين (ع) عنده، قال: «قتل الله قوماً قتلوك، يا بني ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا»[2]، أي لا خير في كلّ الدنيا بدون علي الأكبر، وهذا امتياز خاصّ.

كيف سقى رسول الله (ص) علياً الأكبر (ع)؟

يجدر بنا أن نشير هنا إلى شبهة تقول: إنّكم ترووون أنّ رسول الله (ص) سقى علياً الأكبر شربة لا يظمأ بعدها

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٣.
(٢) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ١٦٤.

أبدها، فهل كان هذا الأمر في عالم الدنيا أم كان بعد شهادة علي الأكبر؟ وإذا كان بعد شهادته فكيف قال: (يا أبتاه هذا جدّي رسول الله (ص) قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً)؟

فبعض الناس لا يستطيع أن يفهم القضايا بسهولة، فهو يحاول أن يثير شكوكاً ويقول: إنَّ هذه الأمور من الخرافات والأكاذيب، وهي غلوّ من قبل الشيعة.

الجواب: في مقام الجواب من المفيد أن نشير إلى قصّة حنظلة غسيل الملائكة.

قصَّة حنظلة غسيل الملائكة:

كان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج، قد تزوَّج _ في تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أُحُد _ بنت عبد الله بن أبي سلول ودخل بها في تلك الليلة، واستأذن رسول الله (ص) أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ

لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (النور: ٦٢)، فأذن له رسول الله (ص)، فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها فأصبح وخرج وهو جنب، فحضر القتال فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار _ لمّا أراد حنظلة أن يخرج من عندها _ وأشهدت عليه أنَّه قد واقعها، فقيل لها: لِمَ فعلت ذلك؟ قالت: رأيت في هذه الليلة في نومي كأنَّ السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة ثمّ انظمَّت، فعلمت أنَّها الشهادة فكرهت أن لا أشهد عليه، فحملت منه. فلمّا حضر القتال نظر حنظلة إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكرين فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض وصاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي، وعدا أبو سفيان ومرَّ حنظلة في طلبه فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشى إلى المشرك في طعنه فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار، فقال رسول الله (ص): «رأيت

الملائكة يغسّلون حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب»، فكان يسمّى غسيل الملائكة[١].

فهذه القصَّة لا يشكّ فيها أحد من المسلمين سواء في ذلك القدماء والمعاصرين، فهذه حقائق تاريخية يعتقد بها الشيعة والسُنّة، وهي تؤكّد إمكانية نزول ماء من السماء في حالة شخصية ودون أن تكون السماء ممطرة على الجميع، وإذا كان ذلك ممكناً للملائكة أن تجمع ماءاً من المزن (السحاب)، فإنَّه ممكن لرسول الله (ص). ولكن يبقى السؤال عن كيفية نزول رسول الله (ص) إلى عالم الدنيا، وبهذا الصدد نستطيع أن نستذكر نزول الأنبياء إلى بيت المقدس.

يقول رسول الله (ص) في حديث المعراج: «... فمضينا حتَّى انتهينا إلى بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها، فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي، فوجدنا إبراهيم

(١) راجع: تفسير القمي ١: ١١٨.

وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله قد جمعوا إليَّ وأقمت الصلاة ولا أشكّ إلاّ وجبرئيل يستقدمنا، فلمّا استووا أخذ جبرئيل (ع) بعضدي فقدَّمني فأممتهم»[1].

فإذا كان غسل الملائكة لحنظلة ممكناً، ونزول عيسى وموسى والأنبياء (ع) ممكناً، إذن فيمكن أن يسقي رسول الله (ص) علياً الأكبر (ع).

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

(١) تفسير القمي ٢: ٤.

المحاضرة الثامنة:

الشفاعة

والسعادة في الفكر الإسلامي

- شفاعة الحسين (ع) يوم القيامة.
- مرتبة الشفاعة.
- أحاديث في الشفاعة.
- قصَّة في شفاعة الحسين (ع).
- معنى السعادة.
- مقتل القاسم بن الحسن (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم

شفاعة الحسين (ع) يوم القيامة:

نحن نقرأ في زيارة الإمام الحسين (ع): «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ (ع)»[1]، هذا النصّ يفتح لنا باباً للحديث عن الشفاعة.

مرتبة الشفاعة:

حيث نعتقد أنَّ أهل البيت (ع) وعلى رأسهم سيّدهم رسول الله (ص) هؤلاء لهم الشفاعة في الدارين في الدنيا والآخرة لمن رضي الله دينه، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨).

رسول الله (ص) في الحديث الثابت عنه بطرق الفريقين يقول: «إنَّما

---

(١) كامل الزيارات: ٣٣٢/ باب ٧١/ ح (٩/٥٥٦).

شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[١]، إذن رسول الله (ص) له شفاعة، وكلّ الخلق حتّى الأنبياء يحتاجون شفاعة نبيّنا (ص) فلا يوجد أحد يوم القيامة إلاّ وهو محتاج إلى شفاعة محمّد (ص)[٢]، لكن هذه الشفاعة التي يتحدَّث عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، هي:

أوّلاً: تمتدّ من النبيّ (ص) لأهل البيت (ع) فهم الشفعاء، «وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ»[٣].

ثانياً: هذه الشفاعة تشمل أولئك الذين رضي الله دينهم وعقيدتهم، كما تشهد له الآية القرآنية: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، حيث جاء في تفسيرها: ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى الله دينه[٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٤/ ح ٤٩٦٣؛ مسند أحمد ٣: ٢١٣.

(٢) قال الإمام الباقر (ع) في حديث طويل له: «... ما أحد من الأوّلين والآخرين إلاّ وهو محتاج إلى شفاعة محمّد (ص) يوم القيامة». (أنظر: تفسير القمي ٢: ٢٠٢).

(٣) المزار لابن المشهدي: ٥٢٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ٨١ .

أحاديث في الشفاعة:

بهذا الخصوص نقرأ بعض الروايات في أصحاب الأعراف وهو موضع في القيامة يسميّه القرآن الكريم: (أعراف)، يشرف أهله على الجنّة والنار، يقول القرآن الكريم: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف: ٤٦)، هؤلاء الرجال يعرفون الناس، هذا من أهل الجنّة فيؤمر به إلى الجنّة، وهذا من أهل النار فيؤمر به إلى النار، تقول الروايات في تفسير هذه الآية:

قال الإمام علي (ع): «نحن نقف يوم القيامة بين الجنّة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار»[1]، وهذه من روايات أهل السُنّة في كتبهم المخصَّصة لنقد الفكر الشيعي ولكن فيها بفضل الله

(١) شواهد التنزيل ١: ٢٦٣/ ح ٢٥٦؛ تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦٢ عنه.

تعالى تأتي هذه الحجج الدامغة عليهم من حيث يعرفون أو لا يعرفون.

حينما دنت الوفاة من الخليفة عمر بن الخطّاب أوصى بشورى سداسية هم من يقرّر الخليفة بعده وهم علي (ع) وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص، فإذا تساووا فأيّ كفّة فيها عبد الرحمن بن عوف فهي المتقدّمة، ومعروف مسبقاً أنَّ عبد الرحمن بن عوف يميل إلى عثمان، فالإمام علي (ع) لأجل إقامة الحجّة دخل في هذه الشورى في غرفة مغلقة وأصبح يحاججهم واحداً واحداً فمن جملة ما حاججهم قال لهم: «أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): يا علي أنت قسيم الجنّة والنار؟»، قالوا: اللّهمّ لا.

يقول ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة وهو من أشدّ الكتب نقداً لشيعة أهل البيت (ع): إنَّ أبا بكر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «لا يجوز

أحد الصراط إلاَّ من كتب له علي الجواز»[١].

فبايع الزبير الإمام علياً (ع) وطلحة بايع عثمان وسعد بايع عثمان فبقي عبد الرحمن بن عوف الذي كان يحمل ولاءً أموياً ومع ذلك كمناورة جاء عبد الرحمن بن عوف وأمام هذه الحجج القويّة للإمام علي (ع) فقال: أبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسُنّة رسوله وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر، فقال الإمام علي (ع): «بل على كتاب الله وسُنّة نبيّه واجتهاد رأيي»، فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك عليه، فقال: نعم، فصارت جبهة عثمان أكثر من جبهة الإمام علي (ع) وفاز عثمان بن عفان بالخلافة بهذه الطريقة[٢].

الفكرة التي نريد تأكيدها هي أنَّ

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٣٦٩.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٨.

حديث الرسول في أنَّ علياً (ع) قسيم الجنّة والنار هو حديث موجود في كتاب (الصواعق المحرقة)[١] وهو من كتب أهل السُنّة، ومعنى ذلك الشفاعة وأنَّ دخول الجنّة يكون بيد علي (ع)، وفي ذلك يقول الشاعر:

علي حبّهُ جُنّه إمام الإنس
وصيُّ المصطفى قسيم النار

قال رسول الله (ص) وهو يشير إلى علي (ع): «والذي نفسي بيده، إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»[٢].

وأمَّا في قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ (مريم: ٨٧)، قال إمامنا الصادق (ع) في تفسير ذلك: «إلاَّ من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمّة (ع) من بعده فهو العهد عند الله»[٣].

عن الإمام الصادق (ع)، قال: «إذا

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٣٦٩.
(٢) أمالي الطوسي: ٢٥١/ ح (٤٤٨/٤٠).
(٣) تفسير القمي ٢: ٥٧.

كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة شديدة، فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ، اكشف عنّا هذه الظلمة»، قال: «فيقبل قوم، يمشي النور بين أيديهم، قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء. فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة. فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع، سلوهم من أنتم؟ فيقول أهل الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرّية رسول الله (ص)، نحن أولاد علي وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون. فيجيئهم النداء من ند الله ﷻ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون

ويشفّعون»[١].

وعن الإمام علي (ع): «إنَّ للجنّة ثمانية أبواب باب يدخل منها النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاّني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، باب يدخل منه سائر المسلمين ممَّن شهد أن لا إله إلاَّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت»[٢]، وهذه الشفاعة التي هي لرسول الله (ص) ولأهل البيت (ع) هي أيضاً لشيعة أهل البيت يوم القيامة والمؤمن يوم القيامة يشفع لمثل

(١) أمالي الصدوق: ٣٥٨/ ح (١٩/٤٤٢).
(٢) الخصال: ٤٠٨/ ح ٦.

ربيعة ومضر.

وعن أبي حمزة أنَّه قال: «للنبيّ (ص) شفاعة في أمّته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهل بيتهم»[١].

وعن الإمام العسكري (ع)، قال: «وأمَّا قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ﴾، فإنَّ أمير المؤمنين (ع) قال: رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنَّه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأُمّهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة فيرحم بها أمّة محمّد (ص)، ثمّ يشفّعهم فيمن يحبّون له الشفاعة من أهل الملّة، حتَّى أنَّ الواحد ليجيء إلى مؤمن من

(١) المحاسن للبرقي ١: ١٨٤/ باب الشفاعة/ ح ١٨٩.

الشيعة، فيقول: اشفع لي، فيقول: وأيّ حقّ لك عليَّ؟ فيقول: سقيتك يوماً ماءً، فيذكر ذلك، فيشفع له، فيشفَّع فيه، ويجيئه آخر فيقول: إنَّ لي عليك حقّاً، فاشفع لي، فيقول: وما حقّك عليَّ؟ فيقول: استظللت بظلّ جداري ساعة في يوم حارّ، فيشفع له، فيشفَّع فيه، ولا يزال يشفَّع في جيرانه وخلطائه ومعارفه، فإنَّ المؤمن أكرم على الله ممَّا تظنّون»[1]، هذه الشفاعة لأهل البيت (ع) وهي مرتبة عظيمة.

وعن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إنَّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفَّع فيهم حتَّى يبقى خادمه، فيقول ويرفع سبّابته: يا ربّ خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد، فيشفَّع فيه»[2].

---

(١) تفسير الإمام العسكري (ع): ٣٧ و٣٨/ ح ١٣؛ بحار الأنوار ٨ : ٤٤/ ح ٤٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٧: ٣٣٨؛ بحار الأنوار ٨ : ٦١/ ح ٨٦ .

قصَّة عن شفاعة الحسين (ع):

روى الشيخ عبّاس القمي; في كتابه (مفاتيح الجنان)[١] عن الشيخ النوري; أنَّ أعظم ما أنتجته زيارة عاشوراء من الفوائد ما جاء في كتاب (دار السلام) وملخَّصه:

(أنَّه حدَّث الثقة الصالح التقي الحاجّ المولى حسن اليزدي المجاور للمشهد الغروي وهو من الذين وفوا بحقّ المجاورة وأتعبوا أنفسهم في العبادة، عن الثقة الأمين الحاجّ محمّد علي اليزدي، قال:

كان في يزد رجل صالح فاضل مشتغل بنفسه وموا ظب لعمارة رمسه يبيت في الليالي بمقبرة خارج بلدة يزد تعرف بالمزار، وفيها جملة من الصلحاء، وكان له جار نشأ معه من صغر سنّه عند المعلّم وغيره إلى أن صار عشّاراً، وكان كذلك إلى أن مات ودفن في تلك المقبرة قريباً من المحلّ الذي كان

(١) مفاتيح الجنان: ٥٣٦ و٥٣٧/ ط ٢/ ١٤٢٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

يبيت فيه الرجل الصالح المذكور، فرآه بعد موته بأقلّ من شهر في المنام في زيّ حسن وعليه نضرة النعيم فتقدَّم إليه وقال له: إنّي عالم بمبدئك ومنتهاك وباطنك وظاهرك، ولم تكن ممّن يحتمل في حقّه حسن الباطن، ولم يكن عملك مقتضياً إلاّ للعذاب والنكال، فبِمَ نلت هذا المقام؟

قال: نعم الأمر كما قلت، كنت مقيماً في أشدّ العذاب من يوم وفاتي إلى أمس، وقد توفّيت فيه زوجة الأستاذ (أشرف الحدّاد) ودُفنت في هذا المكان _ وأشار إلى طرف بينه وبينه قريب من مائة ذراع _، وفي ليلة دفنها زارها أبو عبد الله (ع) ثلاث مرَّات، وفي المرَّة الثالثة أمر برفع العذاب عن هذه المقبرة، فصرت في نعمة وسعة وخفض عيش ودعة.

فانتبه متحيّراً ولم تكن له معرفة بالحدّاد ومحلّه فطلبه في سوق الحدّادين فوجده فقال له: ألك زوجة؟

قال: نعم، توفيت بالأمس ودفنتها

في المكان الفلاني _ وذكر الموضع الذي أشار إليه _.

قال: فهل زارت أبا عبد الله (ع)؟

قال: لا.

قال: فهل كانت تذكر مصائبه؟

قال: لا.

قال: فهل كان لها مجلس تذكر فيه مصائبه؟

قال: لا.

فقال الرجل: وما تريد من السؤال؟ فقصَّ عليه رؤياه.

قال: كانت مواظبة على زيارة عاشوراء).

فببركة قراءتها لزيارة عاشوراء زارها الإمام الحسين (ع) وأمر أن يرفع العذاب عنها وعن كلّ القبور التي حولها فنجا ذلك الجار ببركة زيارة الحسين (ع).

وهذا امتداد الشفاعة للجار في جاره، وللابن في أبويه، وللمؤمن لأكثر من ربيعة ومضر.

معنى السعادة:

ما معنى السعادة؟

نحن نقرأ في زيارة الإمام الحسين (ع): «أشْهَدُ أنَّكَ أمِينُ اللَّهِ وَابْنُ أمِينهِ عِشْتَ سَعِيداً وَمَضَيْتَ حَمِيداً وَمُتَّ فَقِيداً مَظْلُوماً شَهِيداً»[1]، ولا شكَّ أنَّ أقصى غاية الإنسان هي السعادة، وهدفنا جميعاً أن نكون سعداء، لكن ما هي السعادة؟ هل هي الغرق في الدنيا أن نأكل ونشرب ونلبس ونعيش أطول، أم هي الدروشة والتصوّف وأن نسكن على قمم الجبال ونترك الأهل والعيال والكسب، أم السعادة هي الفوز في العالم الآخر وأن نجعل الدنيا طريقاً للآخرة فتلك هي السعادة، أمَّا إذا عاش الإنسان بعمر جميع الدنيا من آدم إلى يوم يبعثون في نعيم ولكن كانت عاقبته الخسران، فإنَّه سوف يقول يوم القيامة: ﴿يا لَيْتَنِي كُنتُ تُراباً﴾ (النبأ: ٤٠).

القرآن الكريم يعرّف السعادة والفوز بالآية الكريمة: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ﴾

---

(١) مصباح المتهجّد: ٧٨٩/ الرقم (١٢/٨٥٧).

(آل عمران: ١٨٥)، أمّا إذا عاش وكانت عاقبة عمره خسراً فأيّ سعادة تلك؟ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٧ _ ٢٩)، في هذا السياق نجد أنَّ الإمام الحسين (ع) قال: «إنّي لا أرى الموت إلاَّ سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ برماً»[1]، يقول القرآن الكريم: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٥ _ ١٠٨)، وهذا هو الذي تحدَّث عنه الإمام الحسين (ع) حينما أعطانا مفهوماً عميقاً للسعادة قائلاً: «إنّي لا أرى الموت إلاَّ سعادة»، هذه العبارة تجري الآن في شرايين شيعة أهل البيت (ع) صغاراً وكباراً.

قال الإمام علي (ع): «ثلاث من حافظ عليها سعد: إذا ظهرت عليك نعمة فاحمد الله، وإذا أبطأ عنك الرزق

---

(١) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ٨٦.

فاستغفر الله، وإذا أصابتك شدّة فأكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[١].

مقتل القاسم بن الحسن (ع):

وقد ينا سب أن نـ ختم هذه المحا ضرة بقصَّة مقتل القاسم بن الحسن (ع)، فالرواية التاريخية تقول:

إنَّ الحسين (ع) حينما أخبر أهل بيته وأصحابه بأنَّهم سيقتلون غداً، قال له القا سم بن الحسن (ع): يا عمّ وأنا أُقتل؟

فأ شفق علـ يه الحـ سين (ع)، ثمّ قال: «يا ابن أخي، كيف الموت عندك؟».

قال: يا عمّ أحلى من العسل.

قال الحسين (ع): «إي والله فذلك أحـ لى، إنـّ ك لأ حد ممـّ ن يقـ تل من الر جال معي بعد أن تبلو بلاءً عظيماً»[٢].

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(١) تحف العقول: ٢٠٧ و٢٠٨.

(٢) راجع: الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٠٤؛ مدينة المعاجز ٤: ٢١٥/ ح (٢٩٥/١٢٤٢).

المحاضرة التاسعة:

الأمان

والموازنة بين مبدأ التقيّة ومبدأ التضحية

- أمان لأهل الأرض.
- حديث الصحابة.
- قراءة لوثيقة تاريخية.
- التضحية والتقيّة.
- أنطوان بارا يتحدَّث.
- ماذا قدَّم الحسين (ع) للبشرية؟
- المعجزة الأولى: حركة ضمير الأمّة.
- المعجزة الثانية: سقوط الحكم الأموي.
- المعجز الثالثة: غضب الطبيعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي ليلة العاشر من محرَّم الحرام والتي سجَّل فيها التأريخ بما لم يسجّل مثلها في جوانب البطولة والملحمية، أو جوانب العشق والفداء، أو الأسى والمصاب، ولا بدَّ أن نقف عند بعض تلك المشاهد، وسيراً على منهجنا في هذه الليالي سنتناول وبشكل موجز مرتبة أخرى من مراتب أهل البيت (ع)، بعد أن تحدَّثنا في ليالي سابقة عن مرتبة المودَّة، والإمامة السياسية، والإمامة الفكرية، والتأسيس للدولة العالمية، والشفاعة، والولاية التكوينية، والأمانة الإلهية.

أمان لأهل الأرض:

أهل البيت (ع) هم الأمان لأهل الأرض وهم سفن النجاة وقد منحهم رسول الله (ص) مرتبة الأمان، فقال (ص):

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»[١].

وفي رواية أخرى: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٢]، أي إنَّ كلّ جماعة تختلف عن أهل البيت (ع) تكون من حزب الشيطان وهو يعني أنَّ كلّ جماعة تتبع أهل البيت هم من حزب الله تعالى.

قيل: يا رسول الله، وما بقاء الناس بعدهم؟

قال (ص): «بقاء الحمار إذا كسر صلبه»[٣]، أي كالحمار الذي يكسر ظهره لا فائدة فيه، وقد نعجب إذا عرفنا أنَّ هذه الرواية ترويها مصادر أهل السُنّة مثل الصواعق المحرقة لابن حجر وغيره، وهو من كبار محدّثي أهل السُنّة، وحيث إنّا تحدَّثنا في ليالي سابقة عن

(١) علل الشرائع ١: ١٢٣/ باب ١٠٣/ ح ١؛ ينابيع المودَّة ١: ٧١/ باب ٣/ ح ٢.
(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩.
(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٦٨٥.

اعتبار أهل البيت (ع) هم الأمانة الإلهية، وهم الأمناء على الرسالة الإلهية، إذن فقد أصبح لدينا ثلاثة مفاهيم:

المفهوم الأوّل: الأمانة، وقد قرأنا ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأحزاب: ٧٢)، والأمانة هي ولاية أهل البيت كما جاء في التفسير.

المفهوم الثاني: الأمناء، كما جاء في الزيارة: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»[1]، أي إنَّ الدين محفوظ عند أهل البيت (ع).

المفهوم الثالث: أنَّهم أمان للناس والأمّة من الاختلاف والتمزّق والتداعي، قال رسول الله (ص): «من أحبَّ أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي، فليتولَّ علي بن أبي طالب وذرّيته الطاهرين أئمّة الهدى ومصابيح الدجى من بعده فإنَّهم لن يخرجوكم من باب الهدى

(١) مصباح المتهجّد: ٧٣٨/ الرقم (٨٢٩/٩٨).

إلى باب الضلالة»[١]، إذن الأمان في الدنيا والآخرة إنَّما يتحقَّق بطريق أهل البيت (ع).

ولهذا فإنَّ رسول الله (ص) يقول لعمّار بالخصوص: «يا عمّار إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس، إنَّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من الهدى»[٢]، ومرتبة الأمان تسمّى أيضاً مرتبة السفينة للحديث المعروف: «إنَّما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلَّف عنها غرق»[٣].

حديث: «أصحابي كالنجوم»:

قد يقال: إنَّ هذا الحديث عن أهل البيت (ع) قد رُوي مثله عن الصحابة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٥٠ و٢٥١؛ كنز العمّال ١١: ٦١١ و٦١٢/ ح ٣٢٦٦٠ باختلاف.
(٢) كشف الغمّة ١: ١٤١؛ كنز العمّال ١١: ٦١٣ و٦١٤/ ح ٣٢٩٧٢.
(٣) بصائر الدرجات: ٣١٧/ باب ١٣/ ح ٤؛ مستدرك الحاكم ٢: ٣٤٣.

قال رسول الله (ص): «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[١]، وحينئذٍ يمكن أن يقول قائل: إنَّ خطّنا ومنهجنا هو خطّ الصحابة ومنهجهم بدلاً عن أهل البيت (ع)، ولكن هذه الرؤية غير صحيحة، لأنَّ حديث الصحابة إذا أردنا أن لا يتعارض مع حديث أهل البيت (ع) فلا بدَّ من أحد موقفين:

الموقف الأوّل: تأويل الحديث بأنَّ المقصود منه أولئك الأصحاب الذين لم يخرجوا عن الجادّة بعد رسول الله (ص).

وهو ما جاء في الرواية عن محمّد بن موسى بن نصر الرازي، قال: حدَّثني أبي، قال: سُئل الرضا (ع) عن قول النبيّ (ص): «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، وعن قوله (ص): «دعوا لي أصحابي»، فقال (ع): «هذا صحيح يريد من لم يغيّر بعده ولم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١١.

يبدّل...»[١].

ويؤيّد هذا الجواب ما جاء عن الإمام علي (ع) في وصيَّته حين قال: «الله الله في أصحاب نبيّكم الذين لم يحدثوا حدثاً، ولم يؤووا محدثاً، فإنَّ رسول الله (ص) أوصى بهم ولعن المحدث منهم...»[٢].

الموقف الثاني: إنَّ هذا الحديث _ بإطلاقه _ مفتعل مكذوب على رسول الله بدليل أنَّ الأصحاب أنفسهم لم يؤمنوا به ولم يعملوا به ولم يصدّقوه، فإذا كان هذا الحديث قد سمعوه عن رسول الله (ص) فلماذا قتل بعضهم بعضاً؟ وكيف نفسّر حروب الردّة، وحرب علي ومعاوية، وحرب علي وعائشة؟ فإذا كانوا كلّهم على حقّ فأين الباطل!؟

رسول الله (ص) هو القائل: «عليكم بعلي بن أبي طالب (ع) فإنَّه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فاتَّبعوه، وعالمكم

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ١: ٩٣/ ح ٣٣.
(٢) الكافي ٧: ٥٢/ باب صدقات النبيّ (ص).../ ح ٧.

فأكرموه، وقائدكم إلى الجنّة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه...»[١].

وأودّ أن أنقل هنا رقماً تاريخياً، فالذين شهدوا مع علي (ع) معركة صفّين كانوا أربعة آلاف صحابي، منهم مائة من أهل بدر وثمانمائة من أهل بيعة الرضوان، وقتل منهم ثلاثمائة وستّون شخصاً، وقد كان مع معاوية عدد من الأصحاب أيضاً، فكيف يمكن: «أصحابي كالنجوم»!؟ ذلك يعني أنَّ هذا الحديث لم يكن مقبولاً ومعروفاً ولا يعتقد به أحد من الصحابة.

قراءة لوثيقة **تاريخية**:

هناك وثيقة جميلة تؤكّد لنا روايات تاريخية متَّفق عليها بين الشيعة والسُنّة أنَّ السماء بكت دماً لمقتل الحسين (ع)، وثيقة مطبوعة من الكتاب الذي أُلّف سنة (١٩٥٨م) عنوانه: (Anglo – Saxon Chronicle The)، وهو يحكي عن تاريخ ما جرى

(١) المناقب للخوارزمي: ٣١٦/ ح ٣١٦.

لبريطانيا منذ عهد المسيح (ع) والأحداث التي جرت على الأمّة البريطانية فيذكر لكلّ سنة حدث حتَّى يأتي على أحداث سنة (٦٨٥م) وهي تقارب سنة (٦١ هـ) وهي سنة شهادة الإمام الحسين (ع)، يذكر المؤلّف ما ترجمته: (إنَّ في هذه السنة أمطرت السماء دماً وأصبح الناس في بريطانيا فوجدوا أنَّ ألبانهم وأزبادهم تحوَّلت إلى دم)، راجع ذلك في (ص ٣٥) من الكتاب.

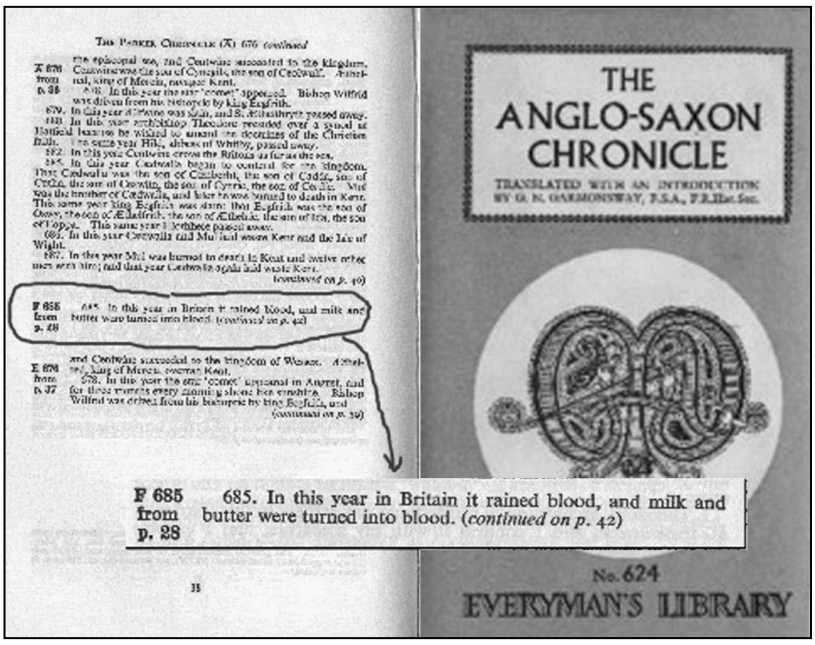

وهذه وثيقة غريبة ولكن نحن نعتقد أنَّ هذا الذي سجَّله أهل البيت (ع) صحيح وأنَّ

السماء أمطرت دماً على الحسين (ع) وليس مجرَّد حمرة.

نقل ابن حجر في الصواعق المحرقة وأبو نعيم في دلائل النبوّة: «لمّا قتل الحسين أمطرت السماء دماً، فأصبحنا فإذا رحائنا وجرارنا مملوءة دماً»[1].

وعن الإمام الصادق (ع): «إنَّ الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) دخل يوماً على الحسن (ع)، فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن (ع): إنَّ الذي يؤتى إليَّ سُمّ يدسُّ إليَّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدَّعون أنَّهم من أمّة جدّنا محمّد (ص)، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلُّ ببني أميّة اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٥٦٨، عن دلائل النبوّة لأبي نعيم.

كلّ شيء حتَّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار»[١]، وهذه ليست رواية عابرة، بل حدث غيَّر الكون واليوم حينما نظر إلى مشاهد شيعة أهل البيت في إحياء ذكر الحسين (ع) يفخر الإنسان ويتساءل لماذا الآخرون تركوا الحسين (ع)؟ أليس الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة؟ فالحمد لله الذي خصَّنا بهذه الفضيلة والنعمة.

الإمام الصادق (ع) يقول لمسمع: «يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين (ع)؟».

قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي.

قال لي: «أفما تذكر ما صنع به؟».

---

(١) أمالي الصدوق: ١٧٧ و١٧٨/ ح (٣/١٧٩).

قلت: نعم.

قال: «فتجزع؟».

قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتَّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فأمتنع من الطعام حتَّى يستبين ذلك في وجهي.

قال: «رحم الله دمعتك، أما إنَّك من الذين يعدون من أهل الجزع والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنّا، أما إنَّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيَّتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرقُّ عليك وأشدُّ رحمةً لك من الأُمّ الشفيقة على ولدها».

قال: ثمّ استعبر واستعبرت معه، فقال: «الحمد لله الذي فضَّلنا على خلقه بالرحمة وخصَّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إنَّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين (ع) رحمةً لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمةً لنا ولما

لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خدّه فلو أنَّ قطرة من دموعه سقطت في جهنَّم لأطفأت حرّها حتّى لا يوجد لها حرّ، وإنَّ الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتَّى يرد علينا الحوض، وإنَّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتَّى أنَّه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه...»[1].

الموازنة بين مبدأ التقيّة ومبدأ التضحية:

هذان مبدءان صحيحان في القرآن الكريم، وهناك جماعة التزموا مبدأ الجهاد والتضحية واستنكروا على الشيعة مبدأ التقيّة، وقالوا: إنَّ هذا المبدأ لا أصل له.

شيعة أهل البيت (ع) يعتقدون بأنَّ هناك مبدأين أحدهما مبدأ التقيّة وهو قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وعمّار يوم كان يضرب

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ و٢٠٣/ باب ١٢٩/ ح (٧/٢٩١).

بالسياط طلبوا منه أن يكفر وأجابهم ثمّ عاد مرتعشاً إلى رسول الله (ص) أن يا رسول الله قد صدر منّي كلام، فقال له رسول الله (ص): «يا عمّار إن عادوا فعُدْ فقد أنزل الله ﷻ عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا»[1].

الإمام الصادق (ع) يقول: «التقيّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له»[2]، أي عليك العمل بالتقيّة أفضل ممّا أن تعرض الدين للخطر إلى جانب مبدأ آخر اسمه:

مبدأ الجهاد والتضحية:

---

(١) أنظر: الكافي ٢: ٢١٩/ باب التقيّة/ ح ١٠؛ وفي مستدرك الحاكم (ج ٢/ ص ٣٥٧): عن ابن عبيدة، عن محمّد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر فلم يتركوه حتّى سبَّ النبيّ وذكر آلهتهم بالخير، فلمّا أتى رسول الله (ص)، قال: «ما وراءك»، قال: شرّ يا رسول الله ما تركت حتّى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟»، قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعُدْ».

(٢) المحاسن للبرقي ١: ٢٥٥/ باب التقيّة/ ح ٢٨٦.

يقول القرآن الكريم: ﴿فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، أهل البيت (ع) والإمام الحسين (ع) قاموا بموازنة بين التقيّة والجهاد وأعطونا قانوناً لذلك:

إن كان دين محمّد إلاّ بقتلي يا سيوف

إن كان الدين في معرض الخطر ويحتاج أن ننصره بأموالنا وأنفسنا وكلّ شيء، إذن فالموقع موقع تضحية من أجل الله، ومن أجل الدين، وهذا هو ما نقرؤه في قصّة برير، وزهير، وحبيب بن مظاهر، والحرّ الرياحي، وسائر الأصحاب وأهل البيت (ع).

أنطوان بارا يتحدَّث: ماذا قدَّم الحسين (ع) للبشرية؟

يقول الكاتب المسيحي (أنطوان بارا): إنَّ كلّ البشرية يجب أن تتحمَّل

---

(١) أنظر: الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ٣: ١١٢، وهذا البيت لسان حال الإمام الحسين (ع).

الـ ثأر لقـ ضيّة الـحـ سين (ع)، وإنَّ لـه (ع) ثـلاث مـعـاجـز:

الـمعجزة الأولـى: حركـة ضمـيـر الأمّـة:

هذه الـحـ ركـة الـ تي لا يـمـ كن أن تـفـسـَّر بـأيّ عـامـل مـادّي، فـإنَّ الإنـسـانـية إلـى الـيـوم تـئنّ وتـنـوح لـقـتـل الـحـسـين (ع). والـعـالـم الـيـوم يـشـهـد الـمـجـالـس والـمـواكـب الـحـسـينـية، وهـذه مـعـجـزة الـحـ سين (ع) لـتـحـ ريـك ضمـيـر الأمـّة. يـ قـول (أنـطـوان بـارا): إنَّ عـيـسـى (ع) كـان يـحـ يـي الـ مـوتـى، والـحـ سين (ع) أحـ يـا أمـّة كـامـلـة بـخـطـابـه وشـهـادتـه، والأديـان والـشـعـوب حيّة بـخـطـاب الـحـسين (ع).

يـقـول الـمـسـتـشـرق الـفـرنـسـي (لـويس مـا سـنـيـون): (لـقـد أخـذ الـحـسين عـلـى عـاتـقـه مـ صيـر الـ لـروح الإنـ سانـية وقـ تل فـي سـبـيـل تـحـقـيـق هـذا الـهـدف فـوق بـطـحـاء كـربـلاء).

ويـقـول أحـد الـمـسـتـشـرقـين الألـمـان: (الـحـقّ أنَّ مـوتـة الـشـهـداء الـتـي مـاتـهـا الـحـسـين قـد عـجَّـلـت فـي الـتـطـوّر الـديـنـي لـ حزب عـ لـي وجعـ لـت مـن ضـريـح الـحـ سين فـي

كربلاء أقدس محجّة).

ويقول عالم الآثار البريطاني (وليم لوفتس): (إنَّ الحسين قدَّم أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى قمَّة البطولة الفذّة).

ويقول المستشرق الإنجليزي _ وهو يرى زوار الحسين (ع) _: (دلَّت صنوف الزوّار التي ترحل إلى مشهد الحسين في كربلاء، والعواطف التي ما تزال تؤجّجها في العاشر من محرَّم في العالم الإسلامي بأسره استمرَّت لتدلّ على أنَّ الموت يندفع القدّيسين أكثر من أيّام حياتهم مجتمعة).

ومع الأسف يأتي أمثال ابن تيمية ويقول: (ولم يكن في الخروج _ أي خروج الحسين (ع) _ لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ص) حتَّى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإنَّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل

منه شيء بل زاد الشرّ بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار ذلك سبباً لشرّ عظيم)[١].

يقول (أنطوان بارا): فلنقارن بين رأي جماعات إسلاميّة تتجنّى على الحقائق وتلوي عنق الواقع التاريخي، فلديتهم كانوا يملكون معشار ما لدى المستشرقين من ضمير حيّ ومنطق منصف في مقام حقّ مبين كضوء الشمس الساطعة.

ويكثر من استلهام معاني حديثين للنبيّ (ص): «حسين منّي وأنا من حسين»[٢]، و«إنَّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»[٣]، ولم يقل: في قلوب المسلمين، أي مؤمن بالله مسلم أو مسيحي أو يهودي.

المعجزة الثانية: سقوط الحكم الأموي:

---

(١) منهاج السُنّة النبوية ٤: ٣١٦ و٣١٧.
(٢) مسند أحمد ٤: ١٧٢؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٤/ ح ٣٨٦٤.
(٣) مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨/ ح (١٣/١٢٠٨٤).

فحكم بني أميّة حكم عاتٍ جبّار لم يوجد مؤشّر على سقوطه قريباً، وهناك أمّة متخاذلة وحكم يخدعهم بألوان الخديعة ويمتلك عناصر القوّة والبقاء لعشرات السنين.

يقول (أنطوان بارا) وغيره من المستشرقين ونحن نؤيّدهم: إنَّ دم الحسين (ع) هو الذي أسقط الحكم الأموي[١].

لقد حرَّك رأس الحسين (ع) ضمير الأمّة، فعندما مرّوا برأسه (ع) على النصارى طلب حملة الرأس الماء، خرجت النصارى وهم يقولون: والله لا نسقيكم قطرة من الماء مثلما منعتم ابن بنت نبيّكم من الماء، ومرّوا على منطقة أخرى فمنعوا من دخولها، وهكذا كان حالهم حتّى وصلوا إلى الشام، فاستقبل الناس الرؤوس والسبايا بالطبول والدفوف، وكان يزيد يشرب الخمر

(١) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٢٧٣ - ٢٨٧.

ويضرب رأس الحسين (ع) بالسياط، ولكن بعد أيّام لبس الناس السواد، وأصبح يزيد يعقد في قصره مجالس العزاء ويدعو زين العابدين (ع) إلى قصره ويقول له: (لعن الله ابن مرجانة، فوَالله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنت متولّياً لقتاله ما قتلته)[1]، فكانت تلك إرهاصات سقوط الحكم الأموي.

الحسين (ع) هو الذي أسقط الطغاة في العراق وإيران والدول الإسلاميّة، فأينما وجدت حركة الحسين (ع) وشيعة أهل البيت (ع) فهناك الانتصار، لذا يقول الإمام الصادق (ع) فيما روي عنه: «لا ذليل والله معزّك» أي إنَّ الذي يعزّ الحسين ليس ذليلاً، «ولا مغلوب والله ناصرك»[2] أي الذي ينصر الحسين لا يكون مغلوباً.

المعجزة الثالثة: غضب الطبيعة:

---

(١) الاحتجاج ٢: ٤٠.

(٢) المصباح للكفعمي: ٤٩٩.

من بكاء السماء وظلامها، وبكاء الجنّ والملائكة، فقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في محاضرات سابقة.

يقول الشاعر المعروف أبو العلاء المعرّي في قصيدة رائعة له:

وعلى الدهر من علي ونجله شاهدان
فهما في أواخر وفي أولياته
ثبتا في قميصه مستعدياً إلى

الحسين (ع) لديه قوّة جذب عجيبة وهائلة وكلّ ما نتحدَّث عنها قليل.

إنَّ مصيبة الحسين (ع) فوق أن توصف، فكلّ ما يقال ويكتب عنها فهو قليل، يقول (أنطوان بارا) عن الجرائم التي فعلها معسكر ابن سعد: إنَّ عبارة وحشية قليلة بما ارتكبوه[٢].

ولنختم هذه المحاضرات بفقرات من مصيبة مقتل الإمام الحسين (ع) التي

---

(١) راجع: أعيان الشيعة ٣: ١٧.
(٢) راجع: الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا: ٢٥٩.

يرويها صاحب كتاب (ينابيع المودَّة) عن أبي مخنف الأزدي، قال:

قال أبو مخنف: بقي الحسين (ع) ثلاث ساعات من النهار ملطّخاً بدمه رامقاً بطرفه إلى السماء وينادي: «يا إلهي صبراً على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين».

فتبادر إليه أربعون فارساً يريدون حزّ رأسه الشريف المكرَّم المبارك المقدَّس المنوَّر، ويقول عمر بن سعد: (ويلكم عجّلوا بقتله).

فدنا منه شبث بن ربعي، فرمقه الحسين (ع) بعينه، فرمى السيف من يده وولّى هارباً ويقول: (معاذ الله أن ألقى الله بدمك يا حسين).

فأقبل إلى شبث سنان بن أنس النخعي، وكان كوسج اللحية قصيراً أبرصاً أشبه الخلق بالشمر اللعين، فقال له: لِمَ ما قتلته؟ ثكلتك اُمّك.

قال شبث: يا سنان إنَّه قد فتح

عينيه في وجهي فشبَّهتهما بعيني رسول الله (ص).

ثمّ دنا منه سنان، ففتح عينيه في وجهه فارتعدت يده وسقط السيف منها وولّى هارباً.

فأقبل إلى سنان الشمر اللعين وقال له: ثكلتك أُمّك، ما لك رجعت عن قتله؟

فقال: يا شمر إنَّه فتح عينيه في وجهي فذكرت هيبة أبيه علي بن أبي طالب ففزعت فلم أقدر على قتله.

فقال له الشمر الملعون: إنَّك جبان في الحرب، فوَالله ما كان أحد غيري أحقّ منّي بقتل الحسين.

ثمّ إنَّه ركب على صدره الشريف، ووضع السيف في نحره، وهمَّ أن يذبحه، ففتح عينيه في وجهه، فقال له الحسين (ع): «يا ويلك من أنت؟ فقد ارتقيت مرتقى عظيماً».

فقال له الشمر: الذي ركبك هو الشمر بن ذي الجوشن الضبابي.

فقال له الحسين: «أتعرفني يا شمر؟».

قال: نعم أنت الحسين بن علي، وجدّك رسول الله، وأُمّك فاطمة الزهراء، وأخوك الحسن.

فقال: «ويلك فإذا علمت ذلك فلِمَ تقتلني؟».

قال: أُريد بذلك الجائزة من يزيد.

فقال له: «يا ويلك أيّما أحبّ إليك، الجائزة من يزيد أم شفاعة جدّي رسول الله (ص)؟».

فقال الشمر الملعون: دانق من جائزة يزيد أحبّ إلى الشمر من شفاعة جدّك.

فقال له الحسين (ع): «سألتك بالله أن تكشف لي بطنك»، فكشف بطنه فإذا بطنه أبرص كبطن الكلاب، وشعره كشعر الخنازير. فقال الحسين (ع): «الله أكبر، لقد صدق جدّي (ص) في قوله لأبي: يا علي إنَّ ولدك الحسين يقتل بأرض يقال لها: كربلاء، يقتله رجل أبرص أشبه بالكلاب

والخنازير».

فقال الشمر الدعين: تشبّهني بالكلاب والخنازير، فوَالله لأذبحنَّك من قفاك.

ثمّ إنَّ المدعون قطع الرأس الشريف المبارك، وكلَّما قطع منه عضواً يقول: «يا جدّاه، يا محمّداه، يا أبا القاسماه، ويا أبتاه، يا علياه، يا أُمّاه يا فاطماه، أُقتل مظلوماً، وأُذبح عطشاناً، وأموت غريباً»، فلمَّا اجتزَّه وعلاه على القناة كبَّر وكبَّر العسكر ثلاث تكبيرات، وتزلزلت الأرض وأظلمت الدنيا، وأمطرت السماء دماً عبيطاً، وينادى في السماء: (قتل والله الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل والله الإمام ابن الإمام، قتل الأسد الباسل، وكهف الأرامل)[1].

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(١) ينابيع المودَّة ٣: ٨٢ - ٨٤ .

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.
أبو الشهداء: عبّاس محمود العقّاد/ ط ١٤٢٥هـ/ طهران.
الاحتجاج: الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان/ دار النعمان/ ١٣٨٦هـ .
الإرشاد: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
أُسد الغابة: ابن الأثير/ دار الكتاب العربي/ بيروت.
إعلام الورى: الطبرسي/ ط١/ ١٤١٧ هـ/ مط ستارة/ مؤسسة آل البيت/ قم.
أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين/ ت حسن الأمين/ دار التعارف/ بيروت.
إقبال الأعمال: ابن طاووس/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.
الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/

ط١/ ١٤١٧هـ/ مؤسسة البعثة.
الأمالي: الشيخ الطوسي/ ت مؤسسة البعثة/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ دار الثقافة/ قم.
الأمالي: الشيخ المفيد/ ط٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
الإمامة والتبصرة: ابن بابويه/ ط١/ ١٤٠٤هـ/ مدرسة الإمام الهادي/ قم.
الانتصار: العاملي/ ط ١/ ١٤٢٢هـ/ دار السيرة/ بيروت.
بحار الأنوار: العلاّمة المجلسي/ ط ٢/ ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الوفاء/ بيروت.
البداية والنهاية: ابن كثير/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
بصائر الدرجات: الصفّار/ ١٤٠٤ هـ/ مط الأحمدي/ منشورات الأعلمي/ طهران.
تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/ ط ٤/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
التاريخ الإسلامي العامّ: علي إبراهيم حسن/ ط ٦/ ١٤٢٦هـ/ القاهرة.
التاريخ الإسلامي: حسن إبراهيم حسن/ ط ٧/ ١٣٩٤هـ/ القاهرة.

التاريخ السياسي للدولة العربية: عبد المنعم ماجد/ ط ٦/ ١٤٠٠هـ/ القاهرة.
التاريخ السياسي: عبد المنعم ماجد/ ط ٦/ ١٤٠٠هـ/ القاهرة.
تاريخ الطبري: الطبري/ ط ٤/ ١٤٠٣ هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
التاريخ الكبير: البخاري/ المكتبة الإسلاميّة/ دياربكر/ تركيا.
تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي/ دار صادر/ بيروت.
تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي/ ط١/ ١٤١٧هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت علي شيري/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.
التبيان: الشيخ الطوسي/ ط١/ ١٤٠٩ هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.
تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني/ ط ٢/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري/ ط١/ ١٤٠٩هـ/ قم.
تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي/ ط١/ ١٤٢٢هـ/ دار الكتب العلمية.

تفسير البيضاوي: البيضاوي/ دار الفكر/ بيروت.
تفسير الثعالبي: الثعالبي/ ط١/ ١٤١٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
تفسير الثعلبي: الثعلبي/ ط١/ ١٤٢٢ هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
تفسير الطبري: ابن جرير الطبري/ ت خليل الميس/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.
تفسير القرطبي: القرطبي/ ت البردوني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة دار الكتاب/ قم.
التفسير الكبير: الفخر الرازي/ ط ٣.
تفسير روح البيان: إسماعيل حقّي/ دار إحياء التراث العربي.
تفسير مجمع البيان: الطبرسي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ ط ٣/ ١٣٦٤ش/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.
ثورة الإمام الحسين في المصنّفات المصرية: هادي التميمي/ ط ١/ ١٤٣١ هـ/ مؤسسة البديل/ بيروت.

الثورة الحسينية: عبد الحسين دستغيب/ دار التعارف/ بيروت.
الحالة السياسية للمدينة المنوَّرة أبان الحكم الأموي: محمّد عبد العال/ ط ١٤٢١هـ/ دسوق.
الحسين في الفكر المسيحي: أنطوان بارا/ ط ٥/ ١٤٣٠هـ/ بيروت.
حياة الإمام الحسين: باقر شريف القرشي/ ط١/ ١٣٩٤هـ/ النجف الأشرف.
الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي/ ط١/ ١٤٠٩هـ/ مؤسسة الإمام المهدي.
الخصال: الشيخ الصدوق/ ١٤٠٣ هـ/ جماعة المدرسين/ قم.
دراسات في التراث الأدبي: عبد المجيد زارقط/ ط ١٤١٩هـ/ بيروت.
دراسة في مقدّمة تحقيق كتاب قيد الشريد: كرم حلمي فرحات/ ط ١٤٢٦هـ/ القاهرة.
دراسة وثائقية لدتاريخ الإسلامي: محمّد ماهر حمادة/ ط ١٤٠٩هـ/ بيروت.
دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي/ ١٣٨٣هـ/ دار المعارف/ القاهرة.
الدعوات: قطب الدين الراوندي/ ط١/

١٤٠٧هـ/ مؤسسة الإمام المهدي/ قم.
دلائل الإمامة: الطبري (الشيعي)/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مؤسسة البعثة/ قم.
الدولة الأموية المفترى عليها: حمدي شاهين/ ط ٢/ ١٤٢٦هـ/ القاهرة.
الدولة الأموية في الشرق: محمّد الطيّب النجّار/ ط ٣/ ١٣٩٨هـ/ القاهرة.
ديوان السيّد رضا الهندي: رضا الهندي/ ط١/ ١٤٠٩هـ/ دار الأضواء/ بيروت.
ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري/ ١٣٥٦هـ/ مكتبة القدسي/ القاهرة.
رسالة في الردّ على الرافضة: محمّد عبد الوهّاب/ مطابع الرياض.
روضة الواعظين: الفتال النيسابوري/ منشورات الشريف الرضي/ قم.
الروضة في فضائل أمير المؤمنين: شاذان بن جبرئيل القمي/ ط١/ ١٤٢٣هـ.
سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني/ دار الفكر/ بيروت.
سنن أبي داود: ابن الأشعث السجستاني/ ط١/ ١٤١٠هـ/ دار الفكر/ بيروت.
سنن الترمذي: الترمذي/ ط٢/ ١٤٠٣هـ/ دار

الفكر/ بيروت.
سيّد شباب أهل الجنّة: عبد اللطيف مشتهري/ ط مصر.
سير أعلام النبلاء: الذهبي/ ط٩/ ١٤١٣ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.
شجرة طوبى: الحائري/ ط٥/ ١٣٨٥هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف الأشرف.
شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ط١/ ١٣٧٨هـ/ دار إحياء الكتب العربية.
شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ مكتبة الرشد.
الشهيد الخالد: حسن أحمد لطفي/ ط ١٣٦٧هـ/ مصر.
شهيد كربلاء: عويس فهمي/ ط ١٣٦٨هـ/ مصر.
شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مجمع إحياء الثقافة.
الشيعة وإمامة علي: عامر النجّار/ ط ١٤٢٥هـ/ القاهرة.
الصحاح: الجوهري/ ط٤/ ١٤٠٧هـ/ دار العلم للملايين/ بيروت.
صحيح البخاري: البخاري/ ١٤٠١ هـ/ دار الفكر/ بيروت.

صحيح مسلم: مسلم النيسابوري/ دار الفكر/ بيروت.
الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم: جعفر مرتضى/ ط٤/ ١٤١٥هـ/ دار الهادي.
الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي/ ط١/ ١٣٨٤هـ/ مط الحيدري.
الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي/ ط١/ ١٩٩٧م/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.
العالم الإسلامي في العصر الأموي: عبد الشافي محمّد عبد اللطيف/ ط ١٤٠٥ هـ/ القاهرة.
عدّة الداعي: ابن فهد الحلّي/ ت أحمد الموحّدي القمي/ مكتبة وجداني/ قم.
العقيلة والفواطم: حسين الشاكري/ مط ستارة.
علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ ١٣٨٥ هـ/ منشورات المكتبة الحيدرية/ النجف.
عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي/ ط١/ ١٤٠٣هـ/ مط سيّد الشهداء/ قم.
عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
الغدير: الشيخ الأميني/ ط٤/ ١٣٩٧هـ/ دار

الكتاب العربي/ بيروت.
الغيبة: النعماني/ ت فارس حسّون كريم/ ط١/ ١٤٢٢هـ/ مط مهر/ أنوار الهدى.
فتح الباري: ابن حجر/ ط٢/ دار المعرفة/ بيروت.
الفتنة الكبرى: طه حسين/ ط ١٣/ ١٤٢٠هـ/ القاهرة.
الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي/ ت علي شيري/ ط١/ ١٤١١هـ/ دار الأضواء.
فيض القدير: المناوي/ ط١/ ١٤١٥ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
قرب الإسناد: الحميري القمي/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مط مهر/ مؤسسة آل البيت/ قم.
القصص العرفانية: رضا محمّد حدرج/ ط٢/ ١٤٢٦هـ/ الناشر: فاروس.
الكافي: الشيخ الكليني/ ط٥/ ١٣٦٣ش/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.
كامل الزيارات: ابن قولويه/ ط١/ ١٤١٧هـ/ مؤسسة نشر الثقافة.
الكامل في التاريخ: ابن الأثير/ ١٣٨٦هـ/ دار الصادر/ بيروت.
كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي/

ت محمّد باقر الأنصاري.
الكشاف: الزمخشري/ ١٣٨٥ هـ/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي/ مصر.
كشف الغمّة: ابن أبي الفتح الأربلي/ ط٢/ ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء/ بيروت.
كمال الدين: الشيخ الصدوق/ ١٤٠٥ هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
كنز العمّال: المتّقي الهندي/ ت بكري حياني/ ١٤٠٩هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.
اللهوف في قتلى الطفوف: ابن طاووس/ ط١/ ١٤١٧هـ/ أنوار الهدى/ قم.
مثير الأحزان: ابن نما الحلّي/ ١٣٦٩ هـ/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.
مجمع الزوائد: الهيثمي/ ١٤٠٨ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
المحاسن: البرقي/ ١٣٧٠ هـ/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلاميّة: محمّد الخضري بك/ ط ١٣٩٨هـ/ مصر.
مختصر البصائر: الحسن بن سليمان الحلّي/ ت مشتاق المظفّر.
مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان

الحلّي/ ط١/ ١٣٧٠ هـ/ منشورات المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.
مدينة المعاجز: هاشم البحراني/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم.
المزار: ابن المشهدي/ ط١/ ١٤١٩ هـ/ نشر القيّوم/ قم.
مستدرك الوسائل: الميرزا النوري/ ط١ / ١٤٠٨هـ/ مؤسسة آل البيت/ بيروت.
المستدرك: الحاكم النيسابوري/ إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
مسرح العين: مرسي شاكر الطنطاوي/ ط ١٣٦٣هـ/ مصر.
مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي/ ت حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث.
مسند أحمد: أحمد بن حنبل/ دار الصادر/ بيروت.
مصباح المتهجّد: الشيخ الطوسي/ ط١/ ١٤١١هـ/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت.
المصباح: الكفعمي/ ط٣/ ١٤٠٣ هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
المصنّف: ابن أبي شيبة/ ت سعيد اللحّام/ ط١/ ١٤٠٩هـ/ دار الفكر/ بيروت.

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ ١٣٧٩ هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
المعجم الصغير: الطبراني/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
المعجم الكبير: الطبراني/ ط٢ مزيَّدة ومنقَّحة/ دار إحياء التراث العربي.
مفاتيح الجنان: عبّاس القمّي/ ط ٢/ ١٤٢٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني/ ط٢/ ١٣٨٥هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.
مقتل الحسين: أبو مخنف الأزدي/ ت حسين الغفاري/ مطبعة العلمية/ قم.
المكتبة الإسلاميّة لكلّ الإعمار: أحمد شلبي/ ط القاهرة.
من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق/ ط٢/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ ١٣٧٦هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.
المناقب: الموفّق الخوارزمي/ ط٢/ ١٤١٤هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
منهاج السُنّة النبوية: ابن تيمية/ ت محمّد رشاد سالم ط١/ مؤسسة قرطبة.

منهاج الكرامة: العلاّمة الحلّي/ ط١/ ١٣٧٩ش/ انتشارات تاسوعاء/ مشهد.

المواقف: الإيجي/ ط١/ ١٤١٧هـ/ دار الجيل/ بيروت.

موسوعة التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي/ ط ٩/ ١٤١٧هـ/ القاهرة.

موسوعة كلمات الإمام الحسين: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم/ ط٣/ ١٤١٦هـ/ دار المعروف.

نظم درر السمطين: الزرندي الحنفي/ ط ١/ ١٣٧٧هـ .

نهج البلاغة: الشريف الرضي/ شرح محمّد عبده/ ط١/ ١٤١٢هـ/ دار الذخائر/ قم.

الهداية الكبرى: الخصيبي/ ط٤/ ١٤١١ هـ/ مؤسسة البلاغ/ بيروت.

ينابيع المودَّة: القندوزي/ ط١/ ١٤١٦ هـ/ دار الأسوة.

* * *

فهرست الموضوعات

مقدّمة المؤلّف ٣
المحاضرة الأولى: التغيير الاصلاحي هدف الثورة الحسينية ٧
ما هي أهداف الثورة الحسينية؟ ٩
خمسة تفاسير للثورة الحسينية ١٠
التفسير الأوّل: التفسير القَبَلي ١٠
التفسير الثاني: التفسير المزاجي ... ١١
التفسير الثالث: التفسير المصلحي ... ١٢
التفسير الرابع: التفسير الطبقي ١٥
التفسير الخامس: التفسير الغيبي ١٦
التفسير الديني ٢٠
مراتب أهل البيت (ع) والانحراف عنها . ٢١
المودَّة الواجبة ٢٣
التشكيك في دلالة آية المودَّة ٢٦
المودَّة شكل ومضمون ٣٠
شبهة ضدّ الشعائر الحسينية ٣٢
جواب الشبهة ٣٣
الروايات في بكاء النبيّ (ص) على الحسين

(ع) ٣٦
الحسين (ع) يعطف على زائريه ٤٢
العشق النبوي للحسين (ع) ٤٥
ماذا فعل يزيد برأس الحسين (ع)؟ ٤٦
المحاضرة الثانية: الإمامة الفكرية لأهل البيت (ع) ٤٧
الإمامة الفكرية ٥٠
مصادر علوم أهل البيت (ع) ٥٢
المصدر الأوّل: القرآن الكريم ٥٢
المصدر الثاني: السُنّة النبوية ٥٤
الارتباط بالقرآن الكريم ٥٩
تسبيح يونس (ع) ٦٢
الحسين (ع) ينظر إلى زائريه ٦٣
رأس الحسين (ع) يتكلَّم بالقرآن ٦٦
مشاهد الغيب في الحركة الحسينية ٦٩
المشهد الأوّل: توقّف الجواد ٧٠
المشهد الثاني: عين الماء ٧٠
المشهد الثالث: نطق الرأس الشريف ... ٧١
نطق رأس الحسين (ع) حقيقة أم خرافة . ٧٦
القرآن يشهد بكلام الميّت ٧٧
المحاضرة الثالثة: الإمامة السياسية لأهل البيت (ع) ٨٣

الإمامة السياسية لأهل البيت (ع) ٨٦
نظريات في الزعامة السياسية ٨٧
النظرية الأولى: الإدارة الذاتية ٨٧
النظرية الثانية: إدارة الفرد القائد ٨٧
النظرية الثالثة: إدارة المعصوم ٨٨
الدليل على الإمامة السياسية لأهل البيت (ع) ٨٩
العناية الإلهية بالدين والمذهب ٩٤
قصَّة رضوان خازن الجنان ٩٨
سؤال وجواب ١٠٠
تفسير الحديث ١٠٢
نظرية الأساس الذرّي للكون ١٠٤
نور وجه الحسين (ع) ١٠٥
مناقشة في مشاهد الغيب ١٠٦
الحسين (ع) يرتضع من إصبع الرسول (ص) ١٠٦
السماء تبكي لمقتل الحسين (ع) ١٠٧
الملائكة يهبطون لنصرة الحسين (ع) .. ١٠٨
رأس الحسين (ع) يتكلَّم ١٠٨
رسول الله (ص) يسقي علي الأكبر (ع) ١٠٨
عين ماء تنبع للحسين (ع) ١١٠
الدعاء المستجاب ١١٠

الإشكال على هذه المشاهد ١١١
القضيّة الأولى: بكاء السماء على الحسين (ع) ١١٤
القضيّة الثانية: بكاء الملائكة على الحسين (ع) ١١٩
المحاضرة الرابعة: الحسين (ع) والتأسيس للدولة العالمية الإسلاميّة ١٢٥
الإمام الحسين (ع) يبشّر بالدولة العالمية الكبرى ١٢٧
تأسيس الدولة العالمية الإسلاميّة ١٢٨
روايات في الإمام المهدي (ع) ١٣٠
روايات في غيبة الإمام (ع) ١٣٢
شبهة حول طول عمر الإمام المهدي (ع) ١٣٣
ضرورة الدين في الحياة ١٣٥
نظرية أُوجست كونت ١٣٨
نظريات حول الدين ١٤٠
متى يحكم الدين؟ ١٤٥
مدَّة الحكومة العالمية العادلة ١٤٦
الدين ليس مثالياً ١٤٨
حياة الشعوب من خلال إرادة الإصلاح ... ١٤٩
بِمَ تتقوَّم حياة الأفراد وحياة الشعوب؟ ١٥٢
كيف تكون الشعوب حيّة؟ ١٥٥

مقوّمات الأمّة الحيّة ١٥٦
القرآن والسُنّة مصادر الوعي في الأمّة ١٥٨
السُنّة النبوية تعرَّضت إلى مخاطر ١٥٩
قصَّة سيّد علي الدرويش ١٦٢
سؤال عن حديث: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» ١٦٦
شكوك حول حركة الإمام الحسين (ع) ... ١٧١
شهادة مسلم بن عقيل (ع) ١٧٢
المحاضرة الخامسة: إنسانية المعركة الحسينية ١٧٧
الحسين (ع) وسيلة إلى الله ما دام الدهر ١٧٩
لماذا الوسيلة إلى الله تعالى؟ ١٨١
الحسين (ع) وسيلة لكلّ الإنسانية ١٨٨
الدين الإلهي أم الدين الإنساني؟ ١٩١
شبهة حول البكاء ومجالس العزاء ١٩٢
لماذا الارتباط بأهل البيت (ع)؟ ١٩٥
قصَّة السيّد كاظم القزويني ١٩٨
ما هي قصَّة السيّد بحر العلوم؟ ١٩٩
كرامات الحسين (ع) لماذا؟ ٢٠٢
الحسين (ع) فوق هذه الخرافات ٢٠٩
مبرّرات لكرامات النبيّ أو الإمام ٢١١

المبرّر الأوّل: إقامة الحجّة على الأعداء ٢١١
المبرّر الثاني: استجابة الدعاء ٢١٢
المبرّر الثالث: التكريم من الله ٢١٣
بركات تربة الإمام الحسين (ع) ٢١٥
يغيث أصحابه ولا مغيث له ٢١٨
المحاضرة السادسة: الولاية التكوينية لأهل البيت (ع) ٢٢١
لماذا لم يستخدم الإمام الحسين (ع) ولايته التكوينية؟ ٢٢٣
معنى الولاية التكوينية ٢٢٤
عيسى (ع) يتصرَّف بالوجود ٢٢٩
سليمان (ع) يردّ الشمس ٢٣٠
رواية في فضل شيعة أهل البيت (ع) .. ٢٣٢
الحسين (ع) يعمل بالتكليف الشرعي .. ٢٣٣
نظرية أداء التكليف ٢٣٤
الفرق بين التهلكة والتضحية ٢٣٥
هل ألقى الحسين (ع) نفسه في التهلكة؟ ٢٣٧
الأصابع الوهّابية في تحريف الثورة الحسينية ٢٣٨
الحسين (ع) في الفكر المسيحي ٢٥٧

نبوءة عيسى (ع) بقتل الحسين (ع) ... ٢٦٠
أوجه التشابه بين الحسين وعيسى H .. ٢٦٢
نَوحُ الجنّ على الحسين (ع) ٢٧٢
مصيبة أبي الفضل العبّاس (ع) ٢٧٨
المحاضرة السابعة: الأمانة، وأهمّية الصلاة ٢٨١
الحسين (ع) هو الأمانة الإلهية في الأرض
..... ٢٨٣
معاني الأمانة الإلهية ٢٨٣
أمانة الشريعة في زمن الغيبة ٢٨٩
أهمّية أداء الأمانة ٢٩١
أهمّية الصلاة ٢٩١
أهل البيت هم الوديعة: شبهة وجوابها ٢٩٣
امتيازات علي الأكبر (ع) ٢٩٦
كيف سقى رسول الله (ص) علياً الأكبر (ع)؟ ٢٩٧
قصَّة حنظلة غسيل الملائكة ٢٩٨
المحاضرة الثامنة: الشفاعة، والسعادة في الفكر الإسلامي ٣٠٣
شفاعة الحسين (ع) يوم القيامة ٣٠٥
مرتبة الشفاعة ٣٠٥
أحاديث في الشفاعة ٣٠٧
قصَّة عن شفاعة الحسين (ع) ٣١٥

معنى السعادة ٣١٨
مقتل القاسم بن الحسن (ع) ٣٢٠
المحاضرة التاسعة: الأمان، والموازنة بين مبدأ التقيّة ومبدأ التضحية ٣٢٣
أمان لأهل الأرض ٣٢٥
حديث: «أصحابي كالنجوم» ٣٢٨
قراءة لوثيقة تاريخية ٣٣١
الموازنة بين مبدأ التقيّة ومبدأ التضحية ٣٣٦
أنطوان بارا يتحدَّث: ماذا قدَّم الحسين (ع) للبشرية؟ ٣٣٨
المعجزة الأولى: حركة ضمير الأمّة ٣٣٩
المعجزة الثانية: سقوط الحكم الأموي ٣٤١
المعجزة الثالثة: غضب الطبيعة ٣٤٣
مصادر التحقيق ٣٤٩
فهرست الموضوعات ٣٦٣

* * *